عزيـز أباظـه

الناقد - الشاعر - الإنسان

مالم ينشر ضمن تراثه

دكتورة

وجيهة محمد المكاوى

مدرس الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

نقابة خريجي الجامعة بأسيوط

برئاسة الفخرية لسعادة "محمد عزيز أباظه بك"

رسالة الشباب

افتتاح الموسم الثقافي

لسعادة محمد عزيز أباظه بك

الجمهورية العربية المتحدة

مجمع اللغة العربية

مؤتمر الدورة السابعة والثلاثين

من يوم الاثنين ١٩ من ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ = ١٥ من فبراير (شباط) سنة ١٩٧١ م

إلى يوم الاثنين ٤ من المحـــرم سنة ١٣٩١ هـ = أول مارس (آذار) سنة ١٩٧١ م

الشعر بين أصيل وهزيل

للأستاذ عزيز أباظة

[ألقى فى الجلسة السابعة]

عـــزيز اباظـــه

رائد المسرح الشعرى

تقديم : الأديب الكبير ثروت أباظه

لعزيز أباظه مكانة أدبية فى عصرنا الحديث لم يحظ بها غيره ، ولم تعرف لسواه .

وذلك لمؤهلات شخصية ، وقدرات ذاتية ، وحكمة بالغة ، وعاطفة قوية ، ونفس صادقة ، تفرد بها عن غيره من قرناء عصره ، فقد ضم إلى رفعة الأصل عقلاً حكيماً ، وصدراً سليماً ، وخلقاً كريماً ، وبصيرة نيرة ، وعزيمة صادقة ، وإرادة لا تخور مستمداً ذلك من نشأة إسلامية راسخة مستوحاة من رؤى دينية وقيم أخلاقية تنم عنه قولاً أو فعلاً ، حديثاً أو صمتاً . ليعبر عن كل ذلك بلغة طالما ولع بها وشدا بحبه وتهيامه بها ، مناضلاً فى ساحة الدفاع عنها متعبداً فى محرابها ومقدساً لقواعدها وفنونها ، وكيف لا وهى لغة القرآن الكريم .

اللغة العربية ركيزة الشرعية الإسلامية وعمادها الأساسى .

لذا فقد هاجم المستنصرين لسيادة العامية واستبدالها بالفصحى فى كافة الشئون والميادين . هذا من الناحية العقلية .

ومن الناحية الاجتماعية لم يكن منسلخاً عن المجتمع وقضاياه ، وما يشغله ويقض مضجعه ، فلم يركن إلى برج عاجى واعتصم بل تحدث للناس ونزل إليهم مخاطبهم عارضاً مشاكلهم ، وهو مصرى يهتم بالقضايا المصرية . . إجتماعية وسياسية وثقافية . يتحدث عن رؤيته فيها ورأيه للتخلص منها وحلها . . .

عزيز أباظه ناقداً

كان عزيز أباظه شاعراً رقيق الحس مرهف الشعور ، لا يترك شيئا يستحق التنويه والتعليق إلا أفاض فيه برأيه .

يقول فى رسالته (**إعداد الشباب أو رسالة الشباب نحو نفسه**) فى لغة وأسلوب عذب .

سيداتى - سادتى :

أنكم تشهدون اليوم حفلاً كريماً لفريق كريم . فى هذا الإقليم الكريم ، فهذا الشباب من الجامعيين قد ضموا جهود بعضهم إلى بعض ، وجمعوا عزائم بعضهم إلى بعض ، وتضامنوا وترابطوا فى جماعة تأمر بالمعروف ، وتدعو إلى تحرير النفوس من شر أعداء النفوس . الجهل والضعف والأثرة والتواكل ، وتتجه بعد ذلك إلى أسمى مافى الإنسانية الفاضلة .

ولقد سمعناهم الساعة - سيداتى وسادتى - يعلنون عن وجودهم الاجتماعى . فلنثق فيهم ، ولنرحب بهم ، ولندعو الله لهم ، ولنسجل معهم هذه الساعة الحاسمة فى تاريخ حياتهم العاملة ، على أننى أستأذنكم فى أن نطالعهم فى مهرجانهم السعيد بحقيقة ليس من توقعها بد ، ولا عن وقوعها محيد ، تلك أن الحياة نجاح وفشل ، والفشل أكثر ، وأن الأفراد والجماعات يصدرون عن صواب وخطأ ، والخطأ أكثر . فالعاقل إذن من يفيد من سابق أخطائه لقابل كفاحه .

والحازم الموفق من ينتزع من مادة فشله ، مادة لنجاحه .

سيداتى وسادتى :

لقد شرفنى الجامعيون ، فطلبوا إلى أن ألقى المحاضرة الأولى فى موسمهم الثقافى الأول ، فقبلت غير متردد ، ثم تقدموا خطوة فحددوا يوم المحاضرة ، فقبلت غير متردد ، ثم تقدموا خطوة أخرى ففرضوا علىَّ موضوع المحاضرة فقبلت غير متردد . ذلك زحف من جانبهم أعجبت به من جانبى ، وقلت : إنه فأل اليمن إن شاء الله ، مبسراً بزحفهم الموفق فى ميادين الحياة .

وهكذا ترون أننى صدعت لأمر الشباب ، ومن ذلك الذى يستطيع أن يند عن أمر الشباب إذا طلبوا إليه أن يتحدث عن الشباب بعد أن دلف إلى الكهولة ، وبعد مابينه وبين الشباب ، وأصبح يقول مع القائل فى أدمع هاميه ، وحسرة طاغية ، ونفس متداعية :

يا للشباب المرح التصابى ∴ روائح الجنة فى الشباب

قلت لهم بينوا موضوع المحاضرة على التحديد ، ووضحوا معالمها . قالوا تحدث فى رسالة الشباب الاجتماعية ، وأخذوا هم فى حماس متدفق وأمل مشرق ، ويقين متأنق يتحدثون عن رسالة الشباب الاجتماعية . وأعترف لكم أننى تركتهم يتحدثون ! سمعى مشغول بهم ورأيى مشغول عنهم ، عرضوا أمراً ، واعتزمت أمراً .

أما هذا الأمر الذى اعتزمته ، فمصارحة الشباب – فى غير تمويه ولا مداراة – بحقائق ينبغى أن يصارحوا بها ، ليعلموا على وجه التحقيق من هم ؟ وأين هم ؟

رسالة الشباب الاجتماعية – سيداتى وسادتى – يقتضى التوفر عليها والنهوض بها . جهوداً إيجابية منوعة ، تبذل فى أكثر نواحى الحياة تعقيداً ، وأشد آفاقها امتلاء بالمشاكل الخطيرة والقضايا المضطربة . فإن ركزت هذه الجهود على أسس صالحة من علم وتحقيق ودراسة وإحاطة واقتناع . أدت إلى استقرار المجتمع وسعادته – وإن هى بذلك هوجاء مضطربة ليس لها طابع من حكمة . أو وازع من خلق . أو ضابط من دين أدت بالمجتمع إلى شر مستطير يحرق بلا فح ناره كل ماستقر فى المجتمع من مثل وخلق وجمال ودين . ومتى تقرر ذلك . وذلك مقرر لا شبهة فيه ومتى كان ثابتاً إلى جانب ذلك – أ , فاقد الشئ لا يعطيه كما يقول الناطقة فى جوامع كلمهم كان حقاً على – والرائد لا يكذب أهله – أن أدعو الشباب ليبدأوا البناء لا من حيث أرادوا هم . بل من حيث أرادت طبائع الأشياء .

إذن فحديثى اليوم – سيداتى وسادتى – لا ينصب على رسالة الشباب نحو نفسه . أو بعبارة أدق وأوضح هو عرض موجز لما يجب أن يتدرع به الشباب من العتاد ليواجه الحياة . والحياة كما تعلمون نضال وجهاد .

أسارع فأطمئنكم أيها الشباب . فأنكم لن تسمعوا منى نصائح وتعاليم ، فلعلى أكثركم اقتناعاً أن أثقل الطيبات على النفوس ، هى النصائح والتعاليم ، ولكننى سأطالعكم بخواطر وخوالج ، تتصل بضروب من ضعف الشباب ، وعلله وأخطائه ، لمحناها فى أنفسنا . قبل أن نلمحها فى غيرنا من الناس ، وسجلناها على جيلنا ، قبل أن نسجلها على ما تلاه من أجيال ، والأنفس البشرية الفاعلة فى محيط واحد . والمتأثرة بظروف واحدة متشابهة أشد التشابه وأدناه . فلا عجب إذن ، إذا أحس كثيرون من حضراتكم أننى وأنا أكشف عن علل أعرفها وأحسستها إنما أكشف عن أدواء أحسستموها ، وجوانب ضعف عرفتموها .

سيداتى وسادتى :

سأجعل جيلنا مضرب أمثالى . وبوتقة بحثى . حتى تروا جميعاً أننى لن أخوض إلى نقائص الناس ، إلا عبر نقائص أنفسنا ، وأننى لا ألتمس حسم نقائص الناس إلا على هدى وبصيرة من نقائصنا .

لقد بلغ جيلنا أشده فى ملتقى حدثين كبيرين من أحداث الدنيا . أما أولهما فنهاية الحرب العالمية . وأما ثانيهما فانفجار الثورة المصرية . إذن فلقد شهد شباب ذلك الجيل مدينة عارمة تنهار . ومدينة عارمة تقوم . ونظماً جبارة تبلى . ونظماً أخرى تدب فيها

الحياة . وشاهدوا انقلابات وتطورات هى أضخم وأخطر وأعنف ماكان قد طرأ على العالم منذ خلقه الله . وستظل كذلك حتى تتضاءل وتتهاوى أمام ما سترونه أنتم غداً إن شاء الله . حين يتأذن الله لهذه المحنة الكبرى أن تتجلى عن حال ديمقراطية كريمة قدرها لخلقه ، وارتضاها لعباده .

ولقد ساهم شباب ذلك الجيل فى سبيل حرية بلاده بأوفى نصيب ، واندفع يحمل على كواهله الناهضة كريم نهضتها . وأجج بأيديه الثائرة نار ثورتها ، ودفع من دمائه الحارة ثمن حريتها . ثم انتهت الثورة المصرية على صورة من الصور ، وأصبح الأمر مردوداً إلى حكم العقل والنهية والزكانة والتجاريب . وكان حقاً على شباب ذلك الجيل أن ينفضوا أيديهم بعد ذلك من أشياء لا يعرفونها ، ولا هم يحسنونها ، ولكنهم لم يفعلوا . ولكنهم تورطوا فى خلافات سياسية ، وخبوا وأوضعوا فى ميادين الشهوات الحزبية ومن شأن ذلك أن يضطرهم إلى نقائص لا عدد لها ولا حصر . منها نبذ الطاعة لمن وجبت لهم الطاعة . ومنها نبذ التحصيل فى زمن لم يعد إلا للتحصيل . ومنها الجموح فى اعتناق المذاهب . ومنها الوقوف باسم حرية الرأى فى سبيل حرية الرأى . ومنها التنكر لمقاييس الكفاءة والاستعداد والاستحقاق والنضال والتنافس والعدول عن هذه المقاييس العادلة إلى مقاييس أخف تكاليف وأيسر إدراكاً إلى مقاييس – ما أضألها وأرخصها – هى التقرب لذوى

السلطان والدعاية لهم ، والالتفاف حولهم . وكثيراً ماكتب لنا بهذا التورط المشهود ، الفوز المعقود ، الأمل المنشود .

ولم تكن هذه الظواهر – سيداتى وسادتى – إلا رجة من رجات المحن الكبرى التى تشيع الوهن والانحلال فى الخلق والتقاليد . وتغرى الاضطراب والفوضى فى النظم وموازين العدالة والتقدير . ومازلنا جميعاً أو مازال أغلبنا إلى اليوم يعانى آثار هذا الطابع فى استعدادنا وثقافتنا وإدراكنا سواء منا من سبق فى قافلة الحياة متفوقاً مذكوراً ، أو من تخلف فى أعقاب تلك القابلة مجهولاً مغموراً .

فإذا أنا ناديت الشباب اليوم أن ينجوا بأنفسهم عن الانغماس فى كل تيار سيلسى . إلا ماكان منه فى كفاح قومى . فقد دعوتهم – وأقسم بالوطن وآلائه – إلى مايرفع من شأن الوطن وشأن أبنائه . وقد أشرت لهم بالأصبع المحترقة من قديم إلى أفضل الصراط السوى والطريق المستقيم والسعيد من وعظ بغيره . والرائد لا يكذب أهله وصديقك من صدقك لا من صدقك .

وفى حديثه عن الشباب :

نجد صوت الأب الواعى المثقف المتحدث عن قضية شخصية وطنية قومية من خلال ثقافة عريضة ومنطق سليم وقدرة فائقة على الإقناع بالحجة وتأييد الدليل بالبرهان وإلزام المتحدث بالإقناع بعد

أن يسمع كل التوجيهات والإرشادات مع شئ من المؤانسة والتودد . . . **وهاهو يوجز تأملاته ونصائحه وإرشاداته فى فقرات قصيرة فيقول :**

◆ **أيها الشباب :**

كرموا أنفسكم عن التردى فى غمر العواصف الحربية ، وابتعدوا في دور التحصيل والإعداد عن السياسة قاتلها الله إلا مادعت إليه ضرورة قومية .

◆ **أيها الشباب :**

اهدفوا ما استطعتم إلى الاستقلال الذهنى ، والاستقلال الروحى . اقرأوا ، تأملوا ، ادرسوا ، ثابروا ، وانظروا إلى شهادتكم العليا نظرتكم إلى أداة أهلتكم للتعليم ، وفتحت لكم آفاقه وأفاويقه .

◆ **أيها الشباب :**

ناضلوا الشعور بالنقص

ناضلوا الشعور بالنقص

ناضلوا الشعور بالنقص

تحرروا من عبودية الوظيفة ، ألقوا عنكم نيرها ، وحطموا أغلالها .

◆ **أيها الشباب :**

أقدموا على العمل الحر ، وخوضوا غماره واثقين باسمين ،

واقبلوه صغيراً على سنة طبائع الأشياء ، واحملوه معتزمين موفقين .

ناقشوا ، وجادلوا ، ولا تقبلوا الحقائق مسلماً بها ، فإذا اقتنعتم برأى فناضلوا فيه ، وجاهدوا دونه ، ولا تتخاذلوا عنه ، فإذا اقتنعتم بغيره فلا تكابروا فى الحق ، أن المكابرة ضرب مقيت من ضروب استكانة النفس والشعور بالنقص .

وإذا بدأتم فتوكلوا على الله ، وعلى أنفسكم ، وإذا فشلتم فأصلحوا وعاودوا ، وإذا فشلتم فأصلحوا وعاودا ، واسقطوا من معجمكم مادة اليأس .

◆ **أيها الشباب :**

قووا أنفسكم بالدين واعمروها بالخلق الرفيع ، واحبسوا أنفسكم عما حرم الله ونهى عنه ، واحذروا دائماً الزلة الأولى .

لست أطلب إليكم أن تكونوا قديسين ، فما أظن ذلك فى طوق الإنسان العادى ، ولكن إذا أطقتم فكونوا ، وإلا . فإذا سقتطم فاقتصدوا ، وإذا بليتم فاستتروا .

◆ **أيها الشباب :**

آمنوا بملككم ، ووطنكم ، ودستوركم ونهضتكم ، وأنفسكم . فإذا أنتم أخذتم بخير هذا الذى بسطناه ، وإذا أنتم أنهيتم عن شر هذا الذى بسطناه فاخرجوا إلى الدنيا ، وامشوا فى مناكبها بإذن الله

مظللين بعناية الله . محدوين بتوفيق الله . فهنـــاك إذا عـــلا مـــنكم صاعد لم يقع . وإذا انحرف منكم منحرف لم يضع . وإذا تخلـف منكم متخلف لم يجع .

والسلام عليكم أيها الشباب حين تناضلون وحين تجاهـدون ! والسلام عليكم حين تخفقون فتعـاودون ! والســـلام علـــيكم حـــين تفوزون وتبلغون !

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، وأنتم يومئذ حـــزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون .

■ ■ **فنجد أنـه يتكلم** من خلال الإطلاع علـــى جوانـــب اجتماعية متنوعة ولمسه لمغبة انخراط الشباب فى السياسة وهم فى مراحلهم التعليمية . . . ويدعوا الشباب إلـــى عـــدم النظـــر إلـــى الحصول على الشهادة على أنها نهاية المطاف وآخر مرحلة للتعليم وطلب التحصيل . . . ونهاهم عن كون طلب الشهادة هـــى الأمـــل المرجى بل دعاهم أن تكون الشهادة مرحلة مهيئة للتحصيل وتوجيه الطلاب كل حسب ميوله ورغباته . . . ولأنه مصرى صميم فقـــد أدرك الداء العضال وهو عدم وثوق الشباب فى قدرته الشخصـــية وعدم حماسة لما يؤمن به من آراء صحيحة فدعاهم لنفض النقص عن ذواتهم والوثوق فى قدرتهم الشخصية علـــى التـــأثير وتحقيـــق المآرب الشخصية والأهداف القومية . . . ودعاهم إلى التخلص من

ربقة الوظيفة الحكومية ، وإنها ليست مغنماً كما يتصور البعض بل الأفضل منها الاتجاه إلى العمل الحر حتى ولو كان صغيراً بسيطاً ويرشدهم إلى أعمال العقل . . . والنظر بعين البصر والبصيرة فى كل مايدور حولهم ويبصرهم بركائز النجاح الدفاع عن الحق والرجوع عن الباطل .

أما إذا تبدل موقف الشباب من الحق والباطل فأيدوا الباطل وتنصلوا من الحق فلا نجاح ولا فلاح ويبصرهم بأن الدين هو المظلة التى تحميهم وتقيهم مغبة الأحداث لأن يدعوهم إلى التمسك بالخلق القويم باجتناب سوء الخلق والاستمساك بحبل الله المتين ، ويضمن لهم أن تكلل جهودهم بالنجاح إذا ماتمسكوا بتلك الدرر الثمينة التى ألقاها عليهم .

■ ■ **يلاحظ على المضمون** : بالرغم أن هذه الخطبة قيلت تقريباً عام ١٩٤٤ م أى منذ ما يزيد على نصف قرن إلا أن النقد الذى جاء فيها والأدواء التى أشار إليها لازالت مستشرية فى مجتمعنا لازال التقليد للسيئ ، وعدم الثقة بالنفس والركون إلى المضمون . الوظائف الحكومية – بعد الحصول على الشهادة منتشراً بين الشباب . . . لذا فتلك الخطبة ذات قيمة عالية لم تبل ولها أهميتها الحقيقية بالاهتمام الجديرة بالنشر والتنويه .

■ ■ **ويلاحظ على أسلوبه** : اللهجة الخطابية وتوجيه الحديث

للحضور باللفظ الصريح : (سيداتى سادتى) .

شيوع الحكم والأقوال المأثورة : (العاقل إذن من يفيد من سابق أخطاءه لقابل كفاحه – الحازم الموفق من ينتزع من مادة فشله مادة لنجاحه – إن فاقد الشئ لا يعطيه – صديقك من صدقك لا من صدقك – إن أثقل الطبيات على النفوس هى النصائح والتعاليم . . . إلخ) .

الاستشهاد بالشعر والقرآن والحديث مما أضفى على خطبته صبغة دينية وروحية ممتعة :

يا للشباب المرح التصابى ∴ روائح الجنة فى الشباب [1]

الرائد لا يكذب أهله – وفى ذلك فليتنافس المتنافسون – ألا أن حزب الله هم الغالبون – فاخرجوا إلى الدنيا ، وامشوا فى مناكبها بإذن الله .

الثقافة المتنوعة وتعدد الاطلاع على الآداب المختلفة ظهرت منه شيات واضحة فى محاضرته .

* * * * * *

---

(١) رسالة إلى الشباب ص ٥ .

يقول فى مقاله . . . الشعر بين أصيل وهزيل

أساتذتى وزملائى :

إنه إذا جاز لطائفة كبيرة من شعراء الغرب أن تقف من الشعر حيناً بعد حين وقفة نقدية . غالباً ماتكون قائمة على دفاع عن الشعر كلما أخذت الناس ريبة بوحى من ظروف حياتهم الجديدة ، أن يكون الشعر قد ذهب زمانه فما أجدر بشعرائنا أن يقفوا هذه الوقفة نفسها اليوم ، إلا يكن دفاعاً عن الشعر بعامته ، فدفاعاً عن الشعر الأصيل الجيد . ذلك أن للشعر -فى تاريخنا بين سائر فروع الأدب - مكانة لا أظن أن قد ظفر بمثلها الشعر فى أية لغة أخرى حتى لقد أوشك الرأى أن يجمع بين أصحاب الرأى من عظام أسلافنا على أن عبقرية العرب كانت أوضح ماتكون فى شعرهم .

وهذا هو الجاحظ - وأكتفى به فى هذا المقام - يذهب حد القول فى كتاب " الحيوان " بأن فضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب . ويقول فى موضع آخر إذ يسوق مقارنة بين العرب وغيرهم من الأمم وذلك فى رسالته " فى مناقب الترك " يقول : العرب لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً ولا أصحاب احتكار لما فى أيديهم وطلب لما عند غيرهم ولم يكونوا أطباء ولا أصحاب فلاحة ، ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ، ولا طلبوا المعاش من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل ، ولا عرفوا الدوانيق

للحضور باللفظ الصريح : (سيداتى سادتى) .

شيوع الحكم والأقوال المأثورة : (العاقل إذن من يفيد من سابق أخطاءه لقابل كفاحه – الحازم الموفق من ينتزع من مادة فشله مادة لنجاحه – إن فاقد الشئ لا يعطيه – صديقك من صدقك لا من صدقك – إن أثقل الطيبات على النفوس هى النصائح والتعاليم . . . إلخ) .

الاستشهاد بالشعر والقرآن والحديث مما أضفى على خطبته صبغة دينية وروحية ممتعة :

يا للشباب المرح التصابى ∴ روائح الجنة فى الشباب [1]

الرائد لا يكذب أهله – وفى ذلك فليتنافس المتنافسون – ألا أن حزب الله هم الغالبون – فاخرجوا إلى الدنيا ، وامشوا فى مناكبها بإذن الله .

الثقافة المتنوعة وتعدد الاطلاع على الآداب المختلفة ظهرت منه شيات واضحة فى محاضرته .

* * * * * *

---

(١) رسالة إلى الشباب ص ٥ .

يقول فى مقاله . . . الشعر بين أصيل وهزيل

أساتذتى وزملائى :

إنه إذا جاز لطائفة كبيرة من شعراء الغرب أن تقف من الشعر حيناً بعد حين وقفة نقدية . غالباً ماتكون قائمة على دفاع عن الشعر كلما أخذت الناس ريبة بوحى من ظروف حياتهم الجديدة ، أن يكون الشعر قد ذهب زمانه فما أجدر بشعرائنا أن يقفوا هذه الوقفة نفسها اليوم ، إلا يكن دفاعاً عن الشعر بعامته ، فدفاعاً عن الشعر الأصيل الجيد . ذلك أن للشعر -فى تاريخنا بين سائر فروع الأدب - مكانة لا أظن أن قد ظفر بمثلها الشعر فى أية لغة أخرى حتى لقد أوشك الرأى أن يجمع بين أصحاب الرأى من عظام أسلافنا على أن عبقرية العرب كانت أوضح ماتكون فى شعرهم .

وهذا هو الجاحظ - وأكتفى به فى هذا المقام - يذهب حد القول فى كتاب " الحيوان " بأن فضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب . ويقول فى موضع آخر إذ يسوق مقارنة بين العرب وغيرهم من الأمم وذلك فى رسالته " فى مناقب الترك " يقول : العرب لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً ولا أصحاب احتكار لما فى أيديهم وطلب لما عند غيرهم ولم يكونوا أطباء ولا أصحاب فلاحة ، ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ، ولا طلبوا المعاش من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل ، ولا عرفوا الدوانيق

والقراريط ، ولكنهم وجهوا قواهم إلى قول الشعر وبلاغة المنطق وتثقيف اللغة وتصاريف الكلام .

أقول : إنه إذا جاز لكثيرين من أعظم شعراء الغرب أن يقفوا من الشعر وقفات ، فهم لا يقتصرون فيها على مطلق الشعر بل يضيفون إلى ذلك – فى إصرار – ضرورة أن يستند الشعر إلى تراثهم مما خلف اليونان والرومان ، صوتاً لتاريخهم الأدبى واتصال حلقاته ، وإلا اقتلع من تربته فذوت أوراقه وذهبت هباءً منثوراً .

وحسبنا أن نقرأ عن الشعر وعن أصوله وجذوره ، فصولاً كتبها شعراؤهم ، فباتت فى عالم النقد الأدبى عندهم عيوناً من العيون . ولما كان كتاب الغرب قد عالجوا هذا الموضوع فى جدة واستفاضة ، فأرجوا أن أكتفى هنا بأمثلة قليلة من الأدب الإنجليزى وحده ، حتى لا تسوقنا نظائرها فى الآداب الأخرى إلى مالا يحتمله المقام ومن ذلك ماكتبه " ورد زورث " فى مقدمته الطويلة لديوان فى الشعر الغنائى ، وما كتبه " كولردج " فى تاريخه الأدبى ، وما كتبه " شلى " فى الدفاع عن الشعر ، وما كتبه " ماتيو أرنولد " فى دراسة الشعر وما دبجه من فصول نقدية كثيرة على أنه إذا جاز لهم ذلك – كما قدمنا – فهو عندنا – إلى جانب أنه ضرورة – أحق وأوجب .

يقول " شلى " فى دفاعه عن الشعر [١] : القصيدة من الشعر هى صورة الحياة فى لبها وصميمها لا هذه الحياة المفردة ، أو تلك بل الحياة كما يتصورها الحق السرمدى الذى لا يبيد ، فهنالك هذا الفرق بين القصة مثلا وقصيدة الشعر . القصة مجموعة من وقائع منفصبة ، لا يربط بعضها ببعض إلا رباط الزمن الواحد أو المكان الواحد أو الموقف الواحد أو السببية التى تصل العلة بمعلولها . أما القصيدة من الشعر فهى تخلق الأفعال خلقاً ، تنسجها على منوال الطبيعة البشرية فى ثباتها ودوامها كما يمكن أن تكون فى علم خالقها وبارئها . القصة رواية تروى عن جانب مجزوء من الحياة ، لايصدق إلا على فترة من الزمن محدودة ، وموقف معين جاء فى مجرى الأحداث عابراً ، ليمضى إلى غير عودة . أما قصيدة الشعر الأصيل الذى من أثنائه تنسكب دوافع الناس وأفعالهم مما يجوز وقوعه من الطبيعة البشرية على ما فى هذه الطبيعة من كثرة وتنوع فإذا كان مر الزمن كفيلاً أن يزيل عن القصة جمالها ونفعها فإن هذا الزمن يزيد من جمال الشعر فيظل الشعر إلى الأبد ينبوعاً للصور الجديدة العجيبة التى يمكن أن ترد تطبيقات للحقيقة الخالدة التى تجلوها قصيدة الشعر !!

ألا إن العقائد قد تجئ وتذهب كما يقول " ماتيو أرنولد " فى

---

(١) الشعر بين أصيل وهزيل – ص ٢ .

مقاله عن دراسة الشعر : إن المذاهب قد تظهر وتختفى لأن العقائد والمذاهب تربط نفسها بالواقع المتقلب .

أما الشعر الأصيل الجيد فهيهات له زوال ، لأن الفكرة وطيدته ، لا الفعل وهى نفسها الواقع الذى يتدافع منه الانفعال .

وإذا كان هذا شأن الشعر . أفيكون مبالغاً فيه منا أن نطالب له بأن يتأصل ويرتفع ويجود ؟! بل أيكون كبيراً علينا أن نخصه بالعناية والرعاية ، حتى لا يختلط على أرضه الحرام حابل بنابل ؟!

إننا إذا تعلقت أحلامنا بأهدافه الإنسانية العليا ، كان لزاماً علينا أن نتزمت نوعاً ما فى معايير النقد ، حتى لا تنبهم أمام الناس الفواصل بين أصيل منه وهزيل ، وبين جيد وردئ .

ولقد روى " سان بيف " عن نابليون أنه قال يوما عن رجل وصف له بأنه مهرج : ليكن له من التهريج ماشئت ، فأين عساك أن تجد ميداناً يخلو من هذا التهريج ؟ ثم استطرد " سان بيف " بعد رواية الخبر يقول : نعم قد يصدق هذا القول على السياسة ، وفن الحكم .

وأما فى ميادين الفكر والفن والأدب فعلامة المجد وأمارة الشرف هى ألا يجد التهريج فيها باباً يتسلل منه إلى داخلها . وها هنا يكمن السر فى قداسة هذا الجانب من حقيقة الإنسان .

موقف النقاد من الشعر :

استرسل عزيز أباظه فى توضيح ماهية الشعر ويوضح رأى النقاد فيه فيقول :

ولو [١] أراد النقاد بالشعر خيراً لعفوا أن يشيدوا منه إلا بأجود الأجود ، حتى ولو لم يبق فى الميدان من كل مائة شاعر إلا شاعر مجيد واحد ، لأن ذلك هو عين مايحدث حين يؤول الحكم للزمن . ولقد أسأل : هل رأيت ناقداً لا يستهدف الأصالة وهو عامد ؟!

ولقد أجيب : إنهم كثر ، أولئك الذين لا يستهدفون الجودة وحدها فهم متسامحون إن لم يكونوا عامدين فعند تقويم قصيدة أو ديوان قد تتزاحم المعايير أمام الناقد تزاحماً يخفى عنه الفوارق بين ماهو أصيل فى ذاته ، وبين ما شابه من عوامل الفترة التاريخية أو الظروف الشخصية فرجحت بذلك كفته .

أما عوامل التاريخ وما زلت أنقل الفكرة عن " ماتيو أرنولد " فقد يقع أننا إذ نستعرض تاريخنا القومى فى مجالات الفكر واللغة والشعر ، نلمح منزلة خاصة لشاعر معين فى منعرج الطريق بحيث تعد هذه المنزلة علامة تميز انتقالنا من مرحلة إلى مرحلة تليها ، فعندئذ ترانا أميل إلى أن نضفى على شعره من صفات الأصالة ما لا يستحقه من حيث هو شعر ومالا يستأهله الشاعر من

---

(١) الشعر بين أصيل وهزيل – ص ٥ .

حيث هو شاعر ، وإن يكن من حق هذا الشاعر الثناء عليه والذكر له ، إذا أخذنا فى الحسبان موقعه من معالم الطريق .

وأما هذه العوامل الشخصية فكثيراً مايحدث فى حياة الناقد الخاصة حال تميل به إلى حب أو تجنح به إلى كراهية نحو قصائد بذاتها أو نحو شعراء بأعينهم . فعندئذ يغلب أن يكال المدح والتقدير حيث وقع الحب ، والذم والإجحاف حيث وقعت الكراهية فكم من شاعر مجيد صغر فى أعين معاصريه ولم يعرف له قيمته وحقه إلا اللاحقون . وكم من شاعر كبير فى أعين مناصريه ثملم يوضع موضعه الصحيح إلا بعد أن رد الأمر إلى التاريخ .

وهنا سؤال يطل برأسه ويطرح نفسه وهو : متى يجود الشعر غير مرتكز على لحظته التاريخية ، ولا موطود على ميول الناقد الشخصية ؟ لعلى على يقين أنه مهما تكن الإجابة عن هذا السؤال ، فلابد أن نجد من يعارضها لتعدد المعايير التى يقاس بها أصيل الشعر وجيده ، فأبتعد إذاً أن أتعرض لمعيار بعينه فليس ذلك مايعنينى فى هذا الحديث العابر ولكنى مع ذلك محاول أن أضع شيئاً يشبه القاعدة التى يصح أن نرتكز عليها وأظنها من الوضوح بذاتها بحيث أتوقع لها قدراً من القبول . فإذا تسنى ذلك انفتح أمامنا طريق ينتهى بنا إلى الغاية التى نتوخاها .

وتلك هى أنه مهما يكن المعيار الذى تقاس به أصالة الشعر ،

فلابد أن يكون ذلك المعيار متضمناً شيئاً من المقارنة بين القصيدة التى يراد تقديرها وبين سائر التراث الشعرى الذى ثبت على الأيام لأصالة مزعومة له .

أعنى أن القصيدة الواحدة محال أن يحكم عليها فى عزلة شأنها فى ذلك شأن حقائق أخرى كثيرة لايمكن الحكم على إحداها إلا منسوبة إلى سواها ، فنصف نهر النيل بالطول أو بالقصر ؟ الجواب عن ذلك يكون بعد مقارنته بسائر الأنهار . هل جاء شوقى الخالد فى الفن المسرحى بجديد ؟ الجواب يكون بعد استطلاع ماكان الفن المسرحى قد جاء به قبل شوقى أو بعده فإننا لا نقرن الفن المسرحى عند شوقى بشعر البحترى أو المتنبى لكى نجيب بل نقرن فناً مسرحياً بفن مسرحى آخر .

استنباط المعايير النقدية من الأعمال السابقة

وهكذا تكون الحال إذا سئلنا عن قصيدة من الشعر العربى نظمها صاحبها اليوم . ماحظها من الأصالة ؟ هل يمكن الجواب قبل مقارنتها بصورة عندنا عن الشعر العربى كيف يكون حين يجود ؟ إنه لا يكفى أن نقارن شعراً بشعر بغض النظر عن اللغة التى صيغ بها هذا وذاك لأن الشعر مرتبط بلغته ارتباط الدم بالكائن الحى . ارتباط اللهب بالجسم المشتعل . فإذا أسقطنا عنه اللغة لننظر إلى المضمون فى تجريده ، كنا لا نقارن شعراً بشعر ، بل نقارن فكرة بفكرة أو معنى بمعنى .

أين هو الشاعر الذى يزعم لشعره الجودة ، دون أن يضمر فى زعمه أن يضيفه النقاد إلى التاريخ الأدبى ؟ فإذا كان هذا هكذا فإلى أى تاريخ أدبى يريد أن ينتمى ؟ أيكون شاعراً عربياً يرجو أن يذكره تاريخ الأدب الأجنبى سطراً فى كتابه ؟ وما دام التاريخ الأدبى الذى يتعلق به رجاؤه هو تاريخ الأدب العربى فهل يعقل أن تكون الصلات مبتورة بينه وبين مقومات ذلك التاريخ ، ثم يكون جزءاً منه ؟ على أن الأصول المشتركة التى لابد من قيامها بينه وبين سائر أفراد الأسرة الشعرية العربية لا تنفى بحال أن يكون له من الملامح الجديدة التى يثبت بها شخصيته وفرديته ماشاء وما استطاع كما نرجو أن نبين بعد قليل .

القاعدة الأساسية فى تقدير ، المتواضع عند حكمنا على حظ القصيدة من الأصالة والجودة هى أن يكون ذلك الحكم نتيجة لمقارنتها بزميلاتها الأخريات التى إنما جاءت لتكون واحدة منهن فى أسرة واحدة .

وإنى إذ أقول ذلك لأستشعر كثيراً من الطمأنينة حين أجد القول نفسه وارداً عن شاعر من أئمة شعراء العصر الحديث . ولهذا الشاعر أثر بالغ العمق عند شعرائنا الجدد وأعنى به (ت . س . اليوت) ولعله من الخير أن أتشفع بقوله وقاية من تهمة الرجعية والجمود .

ففى مقال له عنوانه [١] " الآداب القديمة والأديب " والأديب الذى يعنيه هو على القطع الأديب فى عصرنا الراهن يقول ما معناه إن استمرار الأدب فى تاريخ متصل ، شرط أساسى لعظمة هذا الأدب . ذلك لأن الأدب القومى كائناً ماكان هو أكثر من حاصل جمع أفراده الأعلام فمن هؤلاء مضافاً إليهم أفراد الطبقات التى هى دون العبقرية بكثير أو قليل تتكون بيئة أدبية متفردة بطابعها الخاص .

وفى هذه البيئة ينشأ الأدباء الجدد عصراً بعد عصر . بل ينشأ قراء الأدب ومحبوه ومقدروه .

ولقد يظن أديب عبقرى جاء فى عصر من العصور أنه إنما جاء ليحطم الماضى بقيمه ومقاييسه ويقيم نمطاً جديداً لم يكن للناس به عهد من قبل . فإذا ما انقضى بعد هذا العبقرى حين من الدهر ، وجاء بعد ذلك المؤرخون ونظروا إلى الماضى ليتعقبوا مراحله وجدوا أن ذلك التأثر لم يكن إلا صفحة من صفحات الديوان ، اختلف عن سابقيه ، وبهذا الاختلاف تفرد ولكنه كذلك اتفق معهم فى الروح وفى المناخ وفى الملامح الكبرى ، وبهذا الاتفاق استحق مكانه من التاريخ الأدبى لأمته .

---

(١) الشعر بين أصيل وهزيل – ص ٦ .

بناء الجديد على القديم

وهكذا يتبين لنا – إذا نظرنا من زاوية التاريخ واتصال حلقاته – أنه ما من مجدد موفق فى الشعر إلا وقد أقام تجديده على تقليد راسخ ، وما من مقلد موفق إلا وقد أضاف إلى تقليده تجديداً استحق به أن يكون شاعراً .

ويقول " أليوت " فى مقاله المذكور : إننا حين نطالب الأديب أن يجرى على نسق عشيرته لا نتوقع منه أن يدرس التراث الأدبى دراسة المتخصصين فليست العبرة هنا بمقدار الحصيلة التى تتوافر إلينا من الأقدمين بل المعمول عليه كل المعول هو على النمط العام .

ونحن – وقد فرغنا من كلام " اليوت " – لو أننا قد اتخذنا هذه الملاحظة قاعدة لنا لم يكن من حقنا أن نقول لشعرائنا الجدد كونوا كذا وكذا . أعنى أن الشاعر حر فيما يكونه ، شريطة ألا يدخل فى شعره عناصر تأباها طبيعة اللغة العربية ومزاج الشعر العربى كما عرفه تاريخه الطويل . فإن هو أبى واستكبر دارت الدائرة عليه هو وحده دون ديوان الشعر لأن هذا الديوان سيلزم دفتيه دون قبوله .

ولعل هذه الحقيقة بعينها هى أبرز ما يحدد لنا المهمة الأساسية التى يضطلع بها النقد الأدبى فمهما يكن للنقد من مهام فلابد أن

تكون هذه إحداها ، وهو أن يكون بمثابة جهاز معين من الآلة هو الذى ينظم سرعة حركتها وتغيرها فيضمن أن يتغير الذوق الأدبى جيلا بعد جيل ، تغيراً لا يبطل العلاقة المتصلة بين الأجيال فإذا حدث أن أصيب هذا الجهاز الضابط للحركة المنتظمة بما يحبسه عن القيام بمهمته بمعنى أن يجمد الناقدون فى جيل على ذوق الجيل الذى مضى كان لا مندوحة عن أن تفكك هذه الآلة كلها ليعاد إعدادها على نحو يكفل لها سهولة السير ، وكذلك إذا أصيب هذا الجهاز الضابط فتراخت روابطه بمعنى أن نجد النقاد وقد باتوا يتخذون من الجدة لذاتها معياراً لأصالة الشعر لم يكن لنا بد عندئذ من وقف الآلة لحظة حتى يحكم ضبطها مرة أخرى .

وكذلك الجدة التى يركز جهدها فى الجدة وحدها بغض النظر عن كل اعتبار آخر سيصدم الناس بمفاجآتها أول الأمر . فإذا ما أعيدت عليهم كرة أخرى لم يكن لها من الإثارة شئ لأن المفاجأة لا تفاجئ مرتين .

تحديد معيار جودة الشعر

لقد رأيتم أساتذتى وزملائى أننى لم أجرؤ هنا أن أحدد معياراً بذاته يقاس به أجود الشعر لأننى أعلم أننى لو انزلقت فى هذا الطريق لتشعب الرأى أمامنا وامحى كل أمل فى اتفاق فليكن معيارنا ما نختار لكننى حاولت أن أقدم وطيده رجحت لها أن تظفر بكثير من القبول عند أصحاب المذاهب الأدبية على اختلافها راجيا

أن تتخذ هذه الوطيدة فيما بعد نقطة انطلاق فـــى مناســـبة أخـــرى لتحديد المعيار الذى نراه أدنى إلى صحة وملاءمة ذلك أننى أزعـــم أنه كائنا ماكان اتجاه الشاعر العربى فى هذا الجيل فلابد له من أن يلتمس نقطة تماس بينه وبين ماتواضع عليه العرف عـــن الشـــعر العربى من حيث نمطه العام ، وإلا فقد الأمل كما قدمنا فى أن يفتح له تاريخ هذا الشعر صفحة فى ديوانه .

فإذا كان هذا هو الرأى فى نقل شعر عربى إلى شعر إنجليزى فهل يجوز لشاعر عربى أن يغض نظره فى شعره عن ذلك الإيقاع الذى يخلق الجو العام الذى بغيره يمحى الطابع الأصـــيل للشـــعر العربى ؟! ذلك الطابع الذى يميزه باتفاق الآراء عن سائر صـــنوف الشعر فى بقية أرجاء العالم ونقول " الجو العام " ليس إلا تـــاركين للشاعر حرية التصرف المرن المعقول فى تفصيلات ذلك تعبيـــراً عن ذوقه الخاص وشخصيته المستقلة .

ليس الفنان المبدع الخلاق هو الذى يحطم القواعد كأنه صبى يلهو بتحطيم الآنية بغير داع ، إلا شهوة هوجاء ، بـــل هـــو الـــذى تكون له إضافات يضيفها إلى التقليد الموروث ، فتصـــبح بفضـــله جزءاً من هذا التقليد الموروث ، بتسلسل للأجيال التى تليـــه هكـــذا يكون استمرار الحياة عند من يصنعون الحياة لأقوامهم .

ولست أنكر الصعوبة التى ينطوى عليها موقف الملاءمة بين

العرف التقليدى من جهة ، وبين تفرد الفنان المتميز عن سواه من جهة أخرى ، فمجاراة التقليد فيها محو لفرديته ، وفرديته فيها خروج على التقليد ، وإنه لمشكل عسير اعترض الناس على عصور التاريخ الفكرى أشكالاً وألواناً ، تباينت مع تباين الثقافات السائدة ، فاتخذ مرة صورة التناقض بين قيود المجتمع وحرية الفرد ، واتخذ مرة أخرى صورة المفارقة بين إرادة الله وعلمه الشاملين ، وإرادة الإنسان وعلمه المحدودين ، فكيف نوفر للإنسان مسئوليته الخلقية القائمة على حرية إرادته ، فى إطار فكرى نعتقد فيه بالعلم الإلهى الذى يحيط بكل شئ ، وهناك صورة ثالثة تراءت فيها المشكلة نفسها – لاسيما فى عصرنا الحاضر – مؤداها البحث عن طريق يصون به الفرد فرديته برغم التجانس الشديد الذى يصب الناس فى قالب واحد . . . صور كثيرة رأيناها للمشكلة ذاتها فى الظروف المختلفة .

إذن فليس المراد هنا أن نهون من صعوبة الملاءمة التى ندعو إليها شعراءنا ، والتى نريد لهم بها أن يوفقوا بين حرياتهم الفنية ، وبين تقاليد الشعر العربى الأصيل الذى عاش فيها أكثر من خمسة عشر قرناً ، ولكن الصعب العسير ليس هو المستحيل ، على أن أحداً منا لا يجرؤ أن يدعو إلى محاكاة الشاعر فى يومه ، للشاعر الذى مضى بالأمس ، لكننا فى الوقت نفسه نعتقد أن للتقليد الفنى معنى يختلف عن مجرد المحاكاة الصماء وهو المعنى الذى

نطالب به ، بل هو المعنى الذى رأيت شاعراً ناقداً معاصراً عظيماً ، هو " ت . س اليوت " مرة أخرى يدعو إليه فى مقال لـه عنوانـه " التقاليد والموهبة الفردية " وهو معنى يجعل اتباع التقليد فى مجال الشعر أمراً عسيراً يقتضى من صاحبه دراسة طويلة عميقة ، ذلـك أن مايطالب به الشاعر فى هذه الحال ، هـو أن يتشـرب الحـس التاريخى الذى من شأنه أن ينظر الإنسان إلـى الماضـى نظـرة مزدوجة فى آن واحد ، أن ينظر إليه من حيث هو عهـد طويـت صفحته وانقضى ، وأن ينظر إليه فى الوقت نفسه على أنـه شـئ مازال حاضراً مصبوباً فى أعصابنا وعروقنا ، فهو إذن ما مضـى قط ولا انقضى ، بل هو فى نبضنا وفى مجرى دمائنا ، مثل هـذا الحس بالماضى والحاضر ، هو شعور بحقيقة اجتمع فيهـا عبـور الزمن إلى التجرد من الزمنية فى آن واحد .

بهذا الحس النادر حيال التراث يتفاعل الماضـى والحاضـر تفاعلاً متبادلاً ، فليس الماضى وحده هو الذى يقيم الصور والمعالم على طريق الحاضر ، بل الحاضر كذلك يؤثر فى الماضى بمقدار ما تتغير صورة الماضى ، بفضل الإضافات التى يضـيفها أبنـاء العصر الجديد ، فليس التراث بهذا المعنى قطعة من الحجر الأصم ، تظل على شكلها وحدودها برغم مؤثرات الطبيعة من رياح ومطـر وما إلى ذلك ، كلا ، إنه كائن حى مرن ينمو مع الزمن بما يدفعـه إليه أبناء العصور المتلاحقة ، وليست هى بالإضافة التـى تضـع

حصاة على حجر ، فكلاهما موات ، بل هى الإضافة التى تتغير بها صورة التراث فى أعين اللاحقين .

إلى مثل هذه الوقفة من تقاليد الشعر العربى نوجه الدعوة إلى المجددين .

رأيه فى التجديد

أساتذتى وزملائى :

بقيت عندى بعد هذا الكلام الذى صككت به سمعكم ، بقيت عندى دعوة أخرى ، دعوى محلية ، أرجو أن أجلوها لهؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالمجددين فى الشعر فى بلادنا العربية كلها .

أريد أن أقول لهم : إن التجديد ليس التدمير ، وليس التعهير ، وليس هو العجز ، فإنه أخذاً بما يرسمه هؤلاء المجددون تستطيع الملايين من الناس أن يصبحوا شعراء بين عشية وضحاها ، ولن يكلفهم ذلك إلا أن يكتبوا ماشاءوا أن يكتبوه فى لغة منهارة مهجنة بالعامية ، بغير رابط من إيقاع أو قافية أو وزن ، هذا الوزن الذى يقول فيه الجاحظ : " لو حولت حكمة العربى إلى لغة أخرى لبطل ذلك المعجز الذى هو الوزن " . أقول يستطيعون أن يكتبوا أسطراً بعضها تحت بعض ، مزينة بنقاط وعلامات استفهام وتعجب ، وموشاة فى نظرهم ، وملطخة فى نظرنا ، بطمطمات مضحكة مبكية ، ومن أمثال هذه الطمطمات المجددة التى يعتبرونها جياد

حلبتهم : الشجر الزانى ، الشعاع المنكـود ، الصـخر المـذبوح ، الهوى الصعلوك ، القمر المتشنج ، الأفق المتهتك ، الهجر المجـنح ، الليل الحامل ، اللانهائية المخنوقـة ، ثـم يخرجـون عـن هـذه الطمطمات حين يحلو لهم كثيراً أن يستهينوا بلفظ الجلالة ، وهـذا من جهتهم هدف كبير ، فيقول قائلهم : هذا الإله القابع فـى شـباك دكان يبصق عليه المجرم واللوطى والزناء إلى آخر هذه الرطانـة والاستهتار المسف الذى إن صلح لغة فإنما يصلح لضارب رمل ، أو حاسب طالع .

لقد جدد السلف الصالح فى الشـعر ، فأضـافوا إلـى أوزان الخليل ، واستغلوا المجزوءات استغلالاً رائعـاً جديـداً ، ونظمـوا المربعات والمخمسات والمسمطات والموشحات ، وكان هـذا كلـه داخلا فى الإطار العام للشعر أصالة وأنماطاً ، ومن أجل ذلك لذ لنا أن نحتضن هذا الجديد ، وأن نعتز به لأن مصدره هو الفن وهـى الأصالة ، أما إذا كان المصدر هو الشـعوبية ، وهـو الاحتشـاد لمحاربة لغة القرآن ، أو هو التقدمية ، وأدفع بهذه الكلمة تأدباً فـى مكان كلمة أخرى على وزنها ، أما إذا كان المصدر هو هذا فـإننى أهيب بكم – أيها الخالدون – أن نخرج من السلبية إلـى الإيجابيـة الفاعلة ، لنقف حاجزاً فى بلادنا وبيئاتنا ومجامعنا ، دون هذا الشر الذى هو موشك أن يهون ، والحمد لله ، والله موفقكم إلى مايحبـه ويرضاه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ونجد أن عنوان محاضرته وبحثه " الشعر بين أصيل وهزيل " هو تعبير أخذه من ماتيو أرنولد حيث جعل أصيله هو جيده أو رصينه . . . وهزيله سيئه وباطله . قد اشتمل على عدة عناصر وتضمن نقاطاً منها :

☚ الدفاع عن مكانة ومنزلة الشعر بعامة ، والشعر العربى بخاصة ولاسيما الأصيل منه .

☚ توضيح مكانة الشعر العربى وكيف أن له أهمية عظيمة مستمدة من جذوره الموغلة فى القدم لمئات السنين ، وإن هذا القدم يضفى عليه شيات من الأصالة والاقتدار .

☚ يستشهد بآراء الكتاب الغربيين من نحو " ورد زورث – شيلى – كولردج – ماتيو أرنولد " فى تعريف الشعر موضحاً موقفه من حدهم له وموافقته عليه وتوافق الآراء من الفرق البين بين الشعر والقصة ، فإن كانت القصة تتأثر بمختلف المؤثرات وتخضع للقضايا الجديدة التى تطرأ على الساحة ، فتلغى موضوعات وتظهر أخرى إلا أن الشعر – لأنه وليد الفكر – والفكر قد يتطور وقد يتغير ، لكن لا يلغى بعضه بعضاً .

☚ لايعد عزيز أباظه شاعراً فقط بل هو شاعر وناقد . . . لذا دعى النقاد إلى الأمانة النقدية . . . وإلا كان الضرر متشعباً فهو يضيق بالناقد إذا ما كان مشيداً بما لا يستحق الإشادة لأنه

سيأتى من ينقد قوله ويبين تحيزه وهو على عكس مايطلب من النقاد من الحيدة والأمانة ويضر الأعمال الشعرية لأنه يثبت مايستحق الهدم وقد يغض الطرف عما يستحق الخلود والبقاء . . . ويضر الشاعر لأنه ينعته بصفات قد يكون هو على نقيضها من الإجادة والتجويد .

☚ يسوق آراءه النقدية ويلتمس لها طرق الإقناع فهو يرى أن الشعر وإجادته محكومة بمعايير متوارثة لا نستطيع أن ننحيها جانباً بل إننا نحكم على الأشياء من خلال مكانها من مثيلاتها التى حكم لها بالإجادة والحسن . لذا لابد أن تراعى المعايير المتوارثة .

☚ يرى أن الجدة من قبل الأديب ليست فى الانسلاخ عن الماضى بقيمه وتعاليمه وتوجيهاته وإلا كان مبتوراً عن جذوره ، وإنما التجديد فى إطار القديم وهو هنا يحاول إيجاد حل لمعضله نقدية ، وهى كيف يلتزم الأديب بالمعايير النقدية ولا يكون مقلداً ؟ أو كيف يأتى بالجديد دون أن يخرج عن إطار القديم بثوابته المعروفة .

فيقول إن الشاعر يبعد عن التجانس والتشابه ولكنه يستحضر فى أثناء نظمه العلائق والوشائج بينه وبين القديم بما له وما عليه وإلا انطوى الديوان الشعرى ولفظه خارجاً ، مستدلاً بتجديد الأوزان التى وضعها الخليل والتى جدد فى إطارها المجددون دون

الانسلاخ منها حيث رأى أن الحفاظ عليها حفاظ على القومية والهوية العربية .

مفهوم الشعر . . . والشعر عند عزيز أباظه

كان عزيز أباظه مغرماً بالشعر العمودى ويسخر من الذين يقولون الشعر وهم لا يعرفون الخليل ولا أوزانه . . . وكان يعد كتاباتهم نوعاً من التعبير الشخصى عن الذات ليس إلا ، وإن الحرية مكفولة لهم فى اختيار أى الطرق للتعبير ، إلا أن يسموا مايقولونه بأنه شعر حسن ولو تمت المغالطة وساعدتهم الظروف ووسائل الإعلام فى نشر نتاجهم فهو إنتاج وليد صاحبه وينسب له ولا نستطيع أن نسميه بأنه تجربة إنسانية كاملة مثله مثل الشعر العمودى ، ويرجع ذلك لرأيه فى الشعر وحد الشعر عنده . يقول فى رسالته الشعر بين أصيل وهزيل : (١)

" أفهم الشعر على أنه هدية السماء للأرض ، وعلى أنه أكرم وأسمى أداة تصل بين جمال الحياة الإنسانية ، وجمال الله وأفهم الشعر كذلك على أنه التعبير الصحيح الرائع لأكرم عواطف الحياة وأحاسيسها ، وكل تعبير بفن غيره يقصر عنه وإن بلغ أقصى غاية الجودة .

وأفهم الشعر كذلك على أنه معنى جميل ولفظ أجمل يتلابسان

---

(١) الشعر بين أصيل وهزيل – ص ٣ .

فى أعطاف موسيقى رقيقة أو دسمة ولكنها موسيقى لا غنى عنها وإلا فلا شعر ، وأفضل ولو كره الكارهون موسيقى الخليل بن أحمد .

وهكذا كان مفهوم عزيز أباظه فالشعر موسيقى ، وإلا فلا شعر ، ومن هذا المنطلق كان موقفه من الشعر الجديد الذى يلجأ إليه الكثير ممن دخلوا ساحة الشعر بلا زاد .

ويُعَقِب على الكُتاب الذين انسلخوا من الفصحى تحت دعوى التجديد قائلاً [١] : " ليس بين الشعر الذى نكتبه وما يكتبون معركة لأن مفهوم المعركة فى نظرنا أن تكون بين قوى متكافئة وهى ليست كذلك ، ولكننا نتركهم لكى نعطى لهم أكبر فرصة ممكنة للتعبير عن ذواتهم ، وقد تركناهم طويلاً بدون أن نهاجمهم ، بدون أن نتحدث عما يكتبونه ، ماذا فعلوا ؟ ما الذى يتبقى مما قدموه للتاريخ الأدبى العربى ؟ أين حصادهم ؟

لقد انتظرنا عليهم طويلاً ولكن أحداً منهم لم يكتب مايضعه فى صفوف الشعراء .

ولم يكن عزيز أباظه يسير عكس طبائع الأشياء والتطور العصرى وإنما كان يرى أن الفن حينما نجرده من ضوابطه ، وأن

---

(١) المرجع السابق ص ٤ .

الشعر حين نفرغه من إطاريه الوزن والقافية فقد فرغناه من محتواه .

فقال : قال أصحاب الكتابة هؤلاء إن شعرهم تجديد للشعر وأنه الشعر بأصالته وعظمته فى ثوب جديد ، ولكن عزيز أباظه يرى شيئاً آخر يرى مجرد " نماذج خالية من الوزن والقافية لا يمكن أن تعتبر شعراً . . . لقد تساهلنا جداً فيما يتعلق بالقافية وأصبح من حق الشاعر أن ينتقل من قافية إلى أخرى كيفما يشاء ، ولكنى أرفض أن يكون الشعر بلا وزن " .

ويدفع أصحاب الشعر الجديد بأن شعرهم موزون على أساس التفعيلة . ويرد عزيز أباظه بأن : " التفعيلة لا تحدث موسيقاها إلا بانضمامها إلى تفاعيل أخرى يضمها بحر وبحور الشعر لها مجزوءات ومجزوءات المجزوءات ، أما مايقولونه فهو فى حقيقته نثر ، قد يكون نثرا جميلاً ولكنه يظل نثراً ، وليس هناك فن بلا قيد أو قواعد " .

لست ضد أى تجارب ولا أى تجديد كل ما أريده أن تسمى الأشياء بأسمائها فحين أجد شاعراً كالبياتى يقول : " رأيت وجه الله فى واجهة أحد المخازن يبصق عليه الشرطى ، واللوطى والقواد . . الخ " .

دعنا من الكفر فأنا رجل واسع الأفق وأتساءل أين الجمال فى

هذا الكلام ؟ وأين الوزن ؟ وحين أجد شاعراً مثـل (. . . .) لا يستطيع أن يحفظ قصيدة واحدة من الشعر الجديد غير شعره أحس أن هذا الجديد الذى ينادون به لا يمكن أن يعيش وأن يستقر .

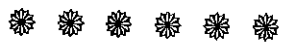

عزيز أباظه شاعراً

ضرب عزيز أباظه مثلاً رائعاً للإنسان المصرى المهتم بقضايا بلده ، والذى لا تغيب عن فكره وإحساسه ، فقد كان عزيز أباظه ذا حس وطنى قوى يعشق مصر بما تمثله ، ومن تمثله ، لم يتخل يوماً عن واجبه تجاه وطنه أو أبناء وطنه ويشاركهم فى كل مايجد لهم من أمور ويقاسمهم فيما يعن لهم من أشياء [١] . وحينما تم الجلاء انطلق لسانه مغنياً بالموقف موجهاً حديثه للرئيس جمال عبد الناصر فقال :

ادفعى أنفك بين الشامخين ∴ وابعثيها نصرة فى العالمين
وارفعى رأسك يامصر ولا ∴ تطرقى إطراقة المستضعفين
إنه حتى وإن ساء سناً ∴ من شعاع الحق يهدى السالكين
رب نقص أحكمت ثغرته ∴ عزمات الراشدين المخلصين
آفة المذهب ليست نقصه ∴ هى نقص لحامليه الناقصين

---

(١) عين عزيز أباظه محافظاً لبورسعيد فى وقت كانت تدق فيها بالمدافع عشية وضحى ، وكانت معه أسرته فاقترح بعضهم أن يرحلهم إلى البلد الربعمائة ليطمئن عليهم خصوصاً بعد تعرض مبنى المحافظة للضرب لكنه رفض وقال كيف أبعدهم وأنا أرى الأطفال والنساء يملئون شوارع بورسعيد لينطبق عليهم ماينطبق على غيرهم ، واكتفى بأن يجعلهم يمضون الليل كله فى المخبأ مثلهم مثل غيرهم من أبناء بورسعيد .

راقبـــوا الله إذا اختـــرتم لـــه ∴ فأنيبوا الحازمين الصـــادقين

إنكـــم إن تبعثـــوا فـــى تافـــه ∴ من قضاياكم ، بعثتم قـــادرين

فانظروا من عينكم من صوتكم ∴ من مبين فى الملمات معـــين

من إذا ينكـــر أمـــراً قـــال لا ∴ مرغماً بالحق أنف المبطلـــين

اختلاف الـــرأى لا إثـــم بـــه ∴ إنما الإثـــم اتفـــاق العـــابثين

صدق السلطان مـــا عاهـــدكم ∴ فاحملوا أعباءكم مضـــطلعين

أكرموا حاضـــركم واجتنبـــوا ∴ بهداكم . . . لعنات الـــوارثين

واذكروا فى عيدكم من جاهدوا ∴ منذ سبعين جهـــاد الـــدائبين

زمر منهم . . . تلتهـــا زمـــر ∴ يمهد السابق نهـــج اللاحقـــين

هلكوا عن راية . . . مابرحت ∴ تتهـــدى مـــن يمـــين ليمـــين

ارفعوها فى السماوات العـــلا ∴ واشـــرئبوا تحتهـــا متحـــدين

خلدوا الثوار واعتـــزوا بهـــم ∴ واحتفوا بالســـابقين الأولـــين

❁ ❁ ❁

رف نصر الله فى الوادى كما ∴ رف فى " بدر " دم المستشهدين

كتـــب التـــاريخ فيـــه حفنـــة ∴ من ميامين الشباب الثـــائرين

غسلوا عنهـــا أذاهـــا وانثنـــوا ∴ غير طاغين ولا مســـتكبرين

لـم يمنـوا بجميـل صـنعوا ∴ يفسد المن جميل المحسـنين

ناصر المظلـوم فـى كربتـه ∴ ومذل الباطشـين الغاشـمين

جاد " بالناصر " للوادى وقـد ∴ ظن أن ليس له من ناصـرين

فرمى عنـه وأجلـى عـاره ∴ حين شاب اليأس صبر الصابرين

فاحمدى يامصر مسراك فقـد ∴ مسح الصبح عناء المـدلجين

واحشدى عزمك لا موضع فى ∴ جبهة المجد لغير الحاشـدين

❁ ❁ ❁

مصر ماكنت حمى للغـادرين ∴ لا . . ولا أم بغـاة خـائنين

إن يكن ضل فريـق وصـغى ∴ عن هدى الله لهدى السـافكين

إن فـيهم مـؤمنين انزلقـوا ∴ غير واعين ولا مستعصـمين

أو يكن زل النهى عـن فئـة ∴ فاستجابوا لـدعاء المبطلـين

أو غلوا فى مذهب خيل هدى ∴ وهو نفث الحاقدين الهـادمين

جمع الجاهل والغر . . . كما ∴ يجمع الليل خفافيش الوكـون

إن فـيهم مـن يـراه كـافلا ∴ لسـعادات تعـم العـالمين

أو يكن مـن نفـر أعمتهمـو ∴ شهوة الحكم ودنيا الطـامعين

مد " نيرون " علـيهم سـطوه ∴ نمراً فاستسلموا مسـتكرهين

أين منا مـــن أبـــت عـــزتهم ∴ حمل هذا الخزى إلا هامسين

ضـــرع رقـــرق فينـــا ســـمه ∴ وكوى ميســـمه كـــل جبـــين

فاغفرى يامصر هـــذا ظفـــر ∴ ضؤلت فيه خطايا الخـــاطئين

واضربى الستر على زلاتنـــا ∴ سيد الأخلاق عفو القـــادرين

وابسطى صـــدرك أمـــا بـــرة ∴ جمعت شمل بنيهـــا أجمعـــين

يغفـــر الله لمـــن تـــابو وإن ∴ حاربوه وهو ذو البطش المتين

فإذا عادوا ، فعودى وامحقـــى ∴ بدرات الشر والشـــر جنـــين

وقد احتل عزيز باشا مكانة أدبية سامقة وصل إليها لاهتمامـــه بالإجادة والقدرة على الإبداع .

قال العقاد مرحباً به حين انضم إلى المجمـــع اللغـــوى : " إن اللغوى العامل عزيز أباظه لقى الرحب والسعة من مجمـــع اللغـــة العربية - رشحته له أعماله الفصاح ولم يرشـــحه لـــه صـــاحب الأعمال ، إنه اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير ، فلم يعرف الراصدون هذا الكوكب إلا وهو فى برجه الأسنى قد جـــاوز جـــانبى الأفـــق واصعد فى سمت السماء " (١)

---

(١) عزيز أباظه رائد المسرح الشعرى - بقلم الإذاعى المرسى جبـــر - الأديـــب سمير كرم فريد - تقديم ثروت أباظه - ص ١٠ .

الدواوين الشعرية

قدم الشاعر الكبير عزيز أباظه عدة دواوين شعرية منها : (ديوان أنات حائرة – ومن الشرق والغرب – وتسابيح قلب – فى موكب الحياة – فى موكب الخالدين) .

أما ديوانه الأول أنات حائرة الذى قدمه الشاعر لجمهوره بعد وفاة زوجته بعشر سنوات . قال عنه الأديب الكبير إبراهيم دسوقى أباظه باشا :

وأشهدأن فقيدتنا أسدت يداص جديدة بهذا الإلهام الذى أوحى به حزن صادق ، كان صدقه مصدر مافيه من قوة تضاف إلى شاعرية معروفة مكنتك من تصوير عواطفك الجياشة ، وإن كنت قد عجبت من جمعك إلى يأس وقنوط واستسلام حكمة وقوة إيمان وحسن إسلام ، وكان أملنا عظيماً فى أن نستعين بهذا على ذاك .

إبراهيم دسوقى أباظه

١٩٤٣ / ٧ / ٢٩

ويقول الأديب والشاعر العربى الكبير ميخائيل نعيمة :

وبعد فقد طالعت مجموعتك " أنات حائرة " التى تلطفت وذكرتنى بنسخة منها ، وأجمل ماطالعنى فى صدورها وأعجازها وفاء رفيق لرفيقة كانت طريقها فى الأرض أقصر من طريقه

أو أقرب من طريقه . وذلك الوفاء العميق الصادق لما فى المجموعة من تفجع وتلوع وتحسر لا يليق بحب وإيمان كإيمانك .

ميخائيل نعيمة

لبنان فى ١٢ / ٢ / ١٩٤١

أما عن الدواوين الأخرى . . . فقد جمعها وأشرف على طباعتها الأديب أنور أحمد ، عرفاناً بحبه لصديق عمره الشاعر عزيز أباظه .

مكانته الأدبية

امتلك عزيز أباظه مقومات فريدة أهلته لأن يتبوء مكانة رفيعة كتبت له ولم ينازعه أحد فيها حياً وميتاً فقد بعث فى الفصحى الحياة وجعل لغة القرآن أداته التى لا يستعيض بغيرها أبداً [١] ، ومهما حاول البعض تسييد العامية ، فإنه يتصدى لهم بكل قوته قولاً وفعلاً فهو ينشر أريج فصحى القرآن ، ويقول إنها تصلح لكل شئ وأى شئ لا يعهد بأفكاره إلا لها ولا يصوغ درره إلا من خلالها ، بل إن أحمد شوقى وهو من هو فى المسرح الشعرى حينما حدثه عزيز

---

(١) فقد قال صلاح جاهين : ملايين الشعب ، تدق الكعب وحينما سمعها البعض قال إن هذه الكلمة التى شاعت بشعر عزيز أباظه كله ولكن ذلك لم يفت فى عضده ولم يجعله يستظل بمظلة العامية بسماء الفصحى الرحب الواسع لكى يشيع إنتاجه على زعم البعض .

أباظه أن ينظم قيس ولبنى لأن الجانب المسرحى بها واضح المعالم عن قيس وليلى ، قال إنه سيحاول فإن لم يمهله القدر فهو حمل قد وضع على كاهل عزيز أباظه وكاهله يستطيع حمله ، وكانت هى أعز انتاجه الشعرى عنده قال أحمد شوقى معقباً على موهبة عزيز أباظه : (١)

شاعرية متدفقة حقاً وخيال أخاذ وصور هى الروعة والجمال ، لذا لتلك المسرحية مكانة خاصة عند عزيز أباظه بل إنه قال عن " قيس وليلى " أنها أحب أبنائه عنده عندما سئل السؤال التقليدى عن أحب أبنائه لديه إذ قال (٢) " سؤال تقليدى . . ومع ذلك ورغم صعوبة التفرقة بين الأبناء فإن أحبهم " قيس وليلى " ولكن لذلك عدة أسباب أهمها : أنها أولى قصصى وللإبنة الأولى مكانتها دائماً ، وهى التى أغرتنى بالاستمرار ، ثم أننى كتبتها بمشهد من أحب الناس عندى . . . من والدتى رحمها الله وكانت فى أيامها الأخيرة . . بالإضافة إلى ذلك كله فقد كنت قد اقترحت على أستاذى الشاعر أحمد شوقى أن يكتب عنهما لأن عنصر المسرحية فى " قيس ولبنى " أقوى منه فى " قيس وليلى " وكان معنا بعض الأخوة الذين وافقونى على ذلك ، كان من بينهم توفيق دياب

---

(١) عزيز أباظه رائد المسرح الشعرى - مرسى جبر - سمير كرم فريد - ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق - ص ٣٣ .

صاحب جريدة " الجهاد " ففكر شوقى برهة ثم قال لى : على كل إذا لم يكن فى العمر بقية لكتابها فعليك أنت يقع عبء المحاولة وقد حاولت وكتبتها " .

أسلوبه :

كان عزيز أباظه ذا موهبة ، والموهبة أول شرط لمن يسلك سبيل الشعر ، نجد الألفاظ فى شعره تنساب عذوبة ورقة ، وتأتى العبارات سلسلة منسجمة مع بعضها فإن أسلوبه تفرد عن أسلوب أقرانه وتميز بسمات وخصائص أهمها نبذ العامية والاحتفاء بالفصحى . وبقدر نأيه عن الرخيص والمبتذل من الألفاظ والعبارات بقدر ماكان يأتى بعبارات وألفاظ سهلة وصور جديدة وغير مطروقة . ويبتعد عن الألفاظ والعبارات التى كثيراً ما جرت بها الأقلام ولاكتها الألسنة حتى فقدت رونقها ، كان يسوس ألفاظه وعباراته فتأتى سهلة طيعة فى غير عناء ، كان شغوفاً بالفصحى نفوراً من العامية غيوراً على الفصحى حفياً بها ، دائم البحث والتنقيب فى المعاجم ليأتى بمفردات حسان ليزيل عنها أتربة النسيان .

بلغ نفوره من العامية شأواً بعيداً وهاجمها بشدة حتى بدا للعيان كأنه حامى حمى الفصحى وأنيس وحدتها فى هذا الزمن الذى كثر فيه إدعياء الشعر والأدب ، وأقفرت فيه أرض اللغة من كل نبت فيه رجاء لثمر .

على أن استمساك عزيز أباظه بالفصحى وكلفه بالانتقاء ليس معناه كلفه بالإغراب ، بل معناهما اتخاذ اللغة العربية متناً ونحواً وصرفاً وسيلة للتعبير عن العاطفة أو الفكرة وتنحية العامية عن الأدب الرفيع ، حتى لا تقع العين فى حديقة الشعر أو بستان النثر – كما يقول أستاذنا الدكتور / أحمد الحوفى فى تأبين شاعرنا – إلا على وردة متفتحة ، أو جلنارة متوجهة أو أقحوانة مشرقة ، أو آذربونه نضرى ، أشجرة ثميرة أو دوحة وريقة أة نخلة رشيقة ، أو كرمة دانية القطوف ، أو عشب كالديباج . (١)

باختصار يتميز شعر عزيز أباظه بالجزالة والعذوبة وصدق التعبير والإبداع فى تصوير مافى النفس من فكرة واضحة وعاطفة صادقة .

ومواطن الجمال فى شعر عزيز أباظه . . ظاهرة بينة فالقارئ لمسرحية " قيس ولبنى " يلمس الرقة والعذوبة فى هذه الصورة الشعرية الحالمة عندما يلتقى قيس وليلى التى لا تصدق أنها زفت لقيس حتى تتساءل قيس أحق مانرى ونسمع ؟

نلمس الرقة فى هذا اللقاء المترع بالحب والشوق والعاطفة المتأججة حتى لنرى الشعر ينساب انسياب الماء أو إن شئت قل صدى لتغريد بلبلين يتناجيان على أفنان الشجر .

---

(١) عزيز أباظه رائد المسرح الشعرى – ص ٢٠ .

قيس :

لبنى سلى الحى ينبئك الذى كانا ∴ كم رائنى دامى الأحشاء ولهـان

ماضمنى الليل إلا نازعاً أرقـا ∴ نبا – به المضجع المجفو أسواناً

لولا هواك وآمال حييـت لهـا ∴ لكنت أضـيع خلـق الله إنسـاناً

هل تذكرين على مرج مجالسنا ∴ نشكو هوانا ونغلو فى شـكاوانا

وحولنا الليل يطوى فى غلالـه ∴ وتحت أعطافه نشوى ونشـوانا

لبنى :

نكاد من بهجة اللقياء ونشـوتها ∴ نرى الربى أيكة ، والرمل بسـتانا

ونحسب الكون عش اثنين يجمعنا ∴ والماء صهباء والأنسام ألحانـا

ونحسب العمر فيضاً من صبا وهوى ∴ والغيب ملآن بالأشـواق ريانـا

قيس :

لم نعتنق والهوى يفرى جوانحنـا ∴ كمـا تعـانق روحانـا وقلبانـا

فعزيز أباظه يقدس الفصحى فهو فضلاً عن أنها لغة القـرآن الكريم والحديث الشريف ، فهو يرى أنها صالحة لكل زمان ومكان ، وإنها مسئولية تقع على عامة المثقفين من محاولة استحياء الألفـاظ الفصيحة التى أوشكت على الموت نظراً لبعدهم عنها . (١)

---

(١) وقد فعل نفس الشئ البارودى حين لجأ إلى استخدام ألفاظ معجميـة أهملهـا البعض استثقالاً فاستعمالها تذكيراً بها .

وفى كتاب رائد المسرح الشعرى : [١]

لقد أخذ عليه البعض كلفه بالألفاظ المعجمية وولعه بالتنقيب بين ألفاظه اللغة ، ولكن عزيز أباظه يرى فى ذلك غير وجهتهم بل يعتبر ذلك رسالة له وإثراء للغة وذخيرة لشباب هو أحوج مايكون للتعرف على كنوز اللغة وحسان ألفاظها . . وفى ذلك يقول : لا أظن أننى استعمل ألفاظاً فيها غرابة ، لسبب واحد وهو أن من أشد ما أعتز به هو موسيقى الشعر ، والذى يحدث هو أننى أستعمل ألفاظاً غير دائرة على الألسن وقصدى من ذلك إحياؤها ثقة منى برشاقتها ، وخدمة للأدباء الناشئين .

وفى هذا الاتجاه خلاف شديد بين ما أخذت به نفسى وبين أصدقائنا الذين يأخذون بمذاهب الأدب الواقعى ، أما من منا أخذ بالمنهج الأصح فذلك متروك لتذوق القراء .

وقد نص على ذلك عزيز أباظه ضمن كلمته إبان الاحتفال بمنحه جائزة الدولة التقديرية فقال : إن فى الشرق العربى كله – وبلادنا جزء منه – جماعات ليست كثيرة العدد ، ولكنها كثيرة المدد لعلها ترى أن الخير لا يقوم إلا على أنقاض الجليل الكريم من مأثورات أمتنا العربية المجيدة . . . تلك المأثورات التى لم يزدها توالى السنين إلا توثقاً واستقراراً وإنماءاً وازدهاراً ، وعندى وعند

---

(١) للمؤلفان المرسى جبر ، سمير كرم فريد .

جمهرة هذه الأمة أن الغض من هذه المأثورات كبيرة من الكبائر فكيف إذا كان هذا المأثور هو لغة القرآن الكريم كتاب الإعجاز الخالد الذى يقول الله فيه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ . (١)

وكيف إذا كان هذا المأثور هو لغة خاتم النبيين التى شعشع فيها أنوار أحاديثه تحمل الكمال والهدى للناس كافة وأرسلها فى أسلوب - كما يقول القدامى - ليس فيه عَروةً مفصولة ولا كلمة مفضولة .

وكيف إذا كان هذا المأثور هو لغة حكماء العرب . هذه الجماعات فى خفاء ووضوح تقذف العامية على الفصحى وتسلك العامية فى إطراء الفصحى وذلك بحجة التطوير .

وإنى لا شهد أنى لا أعرف عاقلاً له صلة بالأدب أو العلم إلا وهو مؤمن أعمق الإيمان أن كل علم أو أدب أو فن ليس متأبياً على التطوير لأن سلامته وبقاءه فى التطوير ، ولكن التطوير غير التدمير وأن حماية مقدساتنا هى أكرم على الله وعلى الناس من حماية جريمة الهدم باسم حرية التفكير والتعبير إن التجديد الذى يأمله أهل العلم والأدب ويباركونه هو التجديد المتجه صوب التجويد لا صوب التقصير والتبديد .

---

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

من سمات شعر عزيز أباظه :

الحكمة : كان عزيز أباظه ذا نظر وحكمة ، وكان لتجواله بين أماكن عديدة أثر بالغ فى نفسه والشعر يعكس ماخبئ وما تأثرت به .

لذا فهو فى شعره سواء أكان قصائد أم أعمالاً مسرحية تظهر حكمة بالغة تعكس نفساً شفافة تأثرت بما ومن حولها فصاغت هذا التأثر فى كلمات باقية ، وقلدت فى جيد الزمان لا يملك من يقرأها إلا أن يعجب بها وبالعقلية التى استبصرتها وبالثقافة التى صاغتها ومن حكمة التى انتشرت على الألسن آنذاك.

فى مسرحية " شهريار " ، وعندما يقرر شهريار التنحى عن الملك والسلطان وسط احتجاج ونفاق الوزراء ، وينكر عليهم فكرة توريث الملك وينصحهم بقوله :

خذوها إذن على نصيحة مبطل ∴ أفاض عليه الله من هديه السكب

تآخوا وضموا شملكم وصفوفكم ∴ فما زلزل الدولات كالخلف والشغب

وإن رمتموا منكم أميراً وقادة ∴ فعودوا لحكم الشعب فالحكم للشعب

وفى مسرحية غروب الأندلس تقول عائشة زوج السلطان أبى الحسن – وقد كانت عائشة يتمثل فيها جهاد العرب فى الأندلس – تقول للزغل شقيق السلطان :

عائشة :

قل للولاة اخشوا شـــعوبكم وإذا ∴ غضبوا وهم سغب للبطون جيـــاع

النـــار أو هـــى منـــة مـــنهم إذا ∴ اندلعت واعقل منهمـــوا الـــدفاع

وفى قافلة النور . . . وعندما يخبر مهراز (رئيس حرس القصر) سلفراس كريمة شهريان والى الحيرة من قبل كسرى ، عندما يخبرها بإقالة أبيها وسجنه تقول : سلفراس :

يســـئ المســـئ فتنســـى لـــه ∴ ويـــؤذى ويحســـد مـــن أحســـنا

هى الـــنفس تبـــرم بالمفضـــلين ∴ عليهـــا إذا لؤمـــت معـــدنا

وفى قصيدته تحية الجزائر الثائر يخاطب عزيز أباظه الجزائريين ويحثهم على التمسك بالحق لأنه لا فائز إلا المصابر على المطالبة بحقه يقول :

زال عهد الكرى وما ضاع حق ∴ خلفـــه شـــاحذ العزيمـــة ســـاهر

ويقول :

لا تقولوا إنا بلغنا فإن الـــنجح ∴ إن لـــم يحـــرس فـــثم المخـــاطر

ضل من ظن أنـــه آمـــن الـــدار ∴ ومن حولـــه الـــذئاب الغـــوادر

وفى قصيدته . . . أعياد المغرب يقول :

لا تقولوا إنا نجحنا فإن الحـــزم ∴ أن تحرســـوا النجـــاح الوليـــدا

بين غاب الذئاب لا يأمن المرتـــ ∴ ـــاد ظفراً صلباً ونابـــاً حديـــداً

وفى قصيدته " ذكريات المقرن " تلك القصيدة المهداه للسودان الشقيق :

يقول عزيز أباظه :

لا ينفـــع النصـــر إذا لـــم تكـــن ∴ أحراسه حشد القـــوى والحـــذر

ومن قصيدته " وحى الجلاء " يقول عزيز أباظه :

مايفيـــد الحـــق مكتوبـــاً . . إذا ∴ ضـــيع الحـــق ذووه صـــاغرين

ويقول :

اخـــتلاف الـــرأى لا إثـــم بـــه ∴ إنمـــا الإثـــم اتفـــاق العـــابثين

ومن قصيدته " عاهل الجزيرة " :

لا يرفع الملك من نفســـه صِـــعة ∴ الملك بالفضل قبل الجاه واللقـــب

وفى قصيدته " جمعية النشأة الأباظية " فى عيـــدها الـــذهبى يقول :

إذا نشـــب الخلـــف فـــى أمـــة ∴ أصـــاب مقاتلهـــا حاســـدوها

وفى قصيدته " شهيد كربلاء " يقول :

لا يـــرد القضـــاء فضـــل وبـــر ∴ إن لله حكمـــة فـــى القضـــاء

وفى قصيدته " بشارة الخورى " التى ألقاها فـــى المهرجـــان الذى أقيم فى لبنان عام ١٩٦٩ لتأبين الشاعر بشارة الخورى يقول

عزيز أباظه موجهاً القول للبنان :

وعزة الشعب ليست فى تكـاثره ∴ العقل أجدى عليه مـن تكـاثره

السمة الإسلامية : كان عزيز أباظه شاعراً عميق الإيمـان يستحضر هيبة الله دائماً ويتلذذ بذكره وبذكر رسوله فى أشعاره . . لذا نستطيع أن نلمس السمة الإسلامية بلا عناء فى شعره حيث أنها واضحة لا غموض فيها ولا إبهام سواء أكان فـى مسـرحياته أم قصائده . . . ودائماً يراعى المناجاة الإلهية فى كـل حـين فنجـد الألفاظ الإسلامية ومعانى كالمناجاة والطواف والمـآذن وغيرهـا شائعة فى شعره يقول :

فى الجزء الأول من الديوان – من الشرق والغرب – وفـى قصيدة " شهيد كربلاء " حيث نرى إيمان شاعرنا بالقضاء والقـدر يتمثل فى قوله :

لا يـرد القضـاء فضـل وبـر ∴ إن لله حكمـة فـى القضـاء

ويأتى فى نفس القصيدة :

ياحسـينا سـتلتقى برسـول الله ∴ فـى مشـهد مـن الأنبيـاء

وفى نفس الجزء – الأول – وفى قصيدة فى دار شكسـبير ، تلك القصيدة التى نظمها شاعرنا عند زيارته لقرية ستراتفوا مسقط رأس شكسبير عام ١٩٥٠ يصف عزيز أباظه الدار بقوله :

كانـــت حـــراء الشـــعر ∴ زان رفيعـــه شـــتى اللغـــات

بل إن عزيز أباظه عندما تناول تمثال جيته فى قصيدته " أمام تمثال جيته "والتى نظمها فى فرانكفورت فى يوليو عام ١٩٥٥ نراه يقول :

يامشعل النفس وحسن الهـوى ∴ أى البـــراقين لـــديك الأثيـــر

ركبـت هـذا فشـقت الـدجى ∴ واجتزت بالآخر سـدم الأثيـر

وفى قصيدة "تونس الخضراء " التـى ألقاهـا الشـاعر فـى مهرجان الشعر الذى عقد فى تونس فى مارس عام ١٩٧٣ وكـان آخر مهرجان شعرى شهده إذ توفى فى العاشر من يوليو من نفـس العام فهو يُذكر بماضى تونس وسياستها :

البحر بحرك والمـدائن لجـة ∴ لـك فـوقهن سـيادة غلبـاء

حتى طوتـك حضـارة عربيـة ∴ مخضـلة وشـريعة غـراء

نبعت من الإسلام وهو هداية ∴ للعـالمين وعصـمة ووقـاء

أسلمت راضية فلم يـدفعك لـلإ ∴ يمـان إكـراه ولا إغـراء

فإذا المآذن فيك عالية الذرى ∴ وإذا المسـاجد ملؤهـا الحنفـاء

وفى هذه الجولة السريعة فى الجزء الأول من الديوان ومـن هذه الأمثلة وغيرها نحس بإيمان شاعرنا وثقافته العالية وكثرة تنقله بين أرجاء المعمورة نحس رهافة الحس وسهولة المعنى .

ويقول مستنكراً تصرفات الإنسان ونزقه وتهوره فى قصيدة الرفيق الأعلى :

قوى الإنسان واشتد مطاه [١] ∴ وتجلى من سنى الله سناه

وتوالت أشهر ناعمة ∴ طاب فيها العيش واخضرت رباه

لم يرع يثرب إلا مرض ∴ ساور المبعوث بالحق أذاه

شبت الحمى به وقدتها ∴ فتداعت تحت مسراها قواه

فإذا أفضى إلى حاجاته ∴ حملته فى عناء قدماه

رقرقت من حبها زهراؤه [٢] ∴ ومن العطف فانسته السقاما

ومضت تمنحه عائشة ∴ رحمة تندى . . وأنسا . . ولزاما

ولقد قامت صلاة فهوى ∴ بعد أن غالب حماه فقاما [٣]

قال : فلينهض أبو بكر بها ∴ فاندبوه للمصلين إماما

أترى هل كان رأيا عابراً ∴ أم هو العهد توخاه وراما

وأحس المصطفى أن الردى ∴ ماثل فانهل بشرا وابتساما

سيلاقى وجه من أرسله ∴ رحمة للناس، تسنى وسلاما

يارسول الله أكرمت الورى ∴ فإذا الإنسان للفضل تسامى

---

(١) مطاه : الظهر .

(٢) فاطمة الزهراء .

(٣) أى أنه فامفلم يقوى فهوى ﷺ .

وبعثت النفس فيه حرة ∴ تنشد الخير وتأبى أن تضاما
وجعلت العقل فيه مبصراً ∴ بعد أن جلله القهر فغاما
واقتضيت العدل للحكم قواما [١] ∴ وبسطت الحق للخلق عصاما
ونشرت الدين نورا وهدى ∴ يكشف الحيرة عنهم والظلاما

ويتحدث عن رسول الله وتعاليمه السمحة والدور العظيم الذى قام فيه للبشرية بدور الهادى والمنبه الذى نبه الناس لما هم فيه وأرشدهم إلى ضرورة التخلص منه .

يارسول الله أبلغت الذى ∴ شاءه الخالق للخلق نظاما
وانتهت منك إليهم سنة ∴ كرمت فى الله بدءا وختاما
قلت : من كف الأذى عن غيره ∴ أمن النار عذاباً وغراماً
والذى يأثم إلا مشركا ∴ واجد فى رحمة الله مقاما
والذى يعفو وإن أذنب لن ∴ يحرم الخلد مقرا ومقاما
والذى يستر عرضا كالذى ∴ صبر النفس فلم يركب حراما
والذى يبذل فى الله يدا [٢] ∴ والذى أنعش فى الضيق الكراما
والذى يدفع ظلما ، والذى ∴ رد بأساء الأيامى واليتامى
والذى يهدى مسيئا فانثنى ∴ عن أذى أو غل فيه فاستقاما

---

(١) النظام .
(٢) يدا : معروفاً .

يغـــدق الله علـــيهم كـــالآلى ∴ قطعوا العمر صلاة وصـــياما
رفـــــع الله إليـــــه روحـــــه ∴ عـــام أن ثبـــت للـــدين الـــدعاما
أجـــل المـــرء مقـــدور لـــه ∴ ثـــم يمضـــى إن الله الـــدواما
حســـبه وهـــو نبـــى بشـــر ∴ أنـــه قـــد أيقـــظ الكـــون ونامـــا

ومن مسرحياته التى يستنطق فيها أبطاله بالمعانى والكلمـات الإسلامية فى مسرحية قافلة النور ترى أحد مسلمى الحيـرة وهـو جابر بن الربيع رجل فى سن الستين يدخل منزله مناجيا ربه فيقول

خالق الخلق مالك الملك سبحاً ∴ نـــك لا والـــدا ولا مولـــودا
غافر الذنب قابل التوب من تهـــ ∴ ـــد يعش راضيا ويهلك سعيدا
قـــد دخلنـــا رواقـــك الممـــدودا ∴ واتبعنـــا رســـولك المحمـــودا
وعرفنا السمو خلقـــاً وســـبلا ∴ مـــذ عرفنـــاك واحـــدا معبـــودا

وهو الذى يؤمن باليوم الآخر وأن الجنة مآل الخالدين نحـس هذا فى ذلك الحوار المترع بالإيمان بالله وقضائه واليوم الآخـر ، وهو حوار دار بين اثنتين من المهاجرات – لمياء وهى فـى سـن الثلاثين والتى رزئت فى ولدها صبيا لاعبا – وأم غسان وهى فـى سن السبعين وقد استشهد غسان . . . حوار تذوب له القلوب .

ومن قصيدته المولد الشريف :

اليوم ضـــاح والنســـيم رخـــاء ∴ وتريق فيض روائهـــا الصـــحراء

وتبرجت تحت الظلال وأشـرقت ∴ كالمحصـنات الكعبـة الغـراء
وشى الجلال جمالها والحسن فى ∴ حضن الجـلال الفتنـة العـذراء
وقريش حول شيوخها وحـديثهم ∴ نجـوى إلـى أربـابهم ودعـاء
إرزاء يوم الفيل إن عصفت بهم ∴ فلقـد مضـت بهوائهـا الأرزاء
وتلوح من خلل البيوت إليهمـو ∴ أمـة يغالـب خطوهـا اسـتحياء
ودنت يشع على ذراعيها السـنى ∴ القـا وتعبـق حولهـا الأرجـاء

الشعر العاطفى : ربما يكون هذا العنوانلسمة مـن سـمات شعر عزيز أباظه عليه كثير من التحفظ فالشعر كله لابد أن ينطلق من عاطفة قوية وإحساس صادق ، وإلا ما كان شعراً وما تجـاوز الآذان بعد خروجه عبر اللسان . . لكن قصدت بالشـعر العـاطفى بعض الأبيات التى قالها عزيز أباظه إثرى فقد عزيز لديه كزوجـه – أو صديقه أو حتى كلبه الذى كان يحبه يقول فى قصيدته ربيـع العمر متحدثاً عن حزن لفقد زوجه :

يا ربيع العمر من حالى الصبا ∴ شد ما هـاج افتقاديـك شـجونى
يا ربيع العمر من حالى الصـبا ∴ من على فرقتـك اليـوم معينـى
عهد لا أعرف للدنيا سـوى ∴ أنهـا مسـرح لهـوى ومجـونى
يسـفر الصـبح فألفـاه وبـى ∴ بهجة الـنفس واشـراق الجبـين
وإذا الليـل دجـا راحتيـه ∴ اتخطـى مـن حبيـب لخـدين

يعـرض الهـم فنجليـه كمـا ∴ يـدفع الفجـر أهاويـل الـدجون

وكـأن العـيش يختـال بنـا ∴ بـين أمـواه وأيـك وغصـون

زال كالرشفة من كأس الطلا ∴ راويا مـن حـر بثـى وحنينـى

أين صحبى ولـداتى ؟ عصـفت ∴ بـالأعزين فجـاءات السـنين

وإذا المرء مضـت أترابـه ∴ ذاق أو كـاد تبـاريح المنـون

يا ربيعـا لـم تكـن ميعتـه ∴ غيـر هفهـاف عطـور ولحـون

لـن يكـن الخلـد إلا صـورة ∴ مـن ديابيجـك أو تلـك ظنـونى

يا عشياتى التـى أجرعهـا ∴ سامدا [1] أدعـم رأسـى بيمينـى

زاكى اللوعة محموم الجـوى ∴ واكف الأدمع مصهور الأنـين

النفاثـات نفاثـاتى أنـا ∴ والشئون المستهلات شـئونى

ويقول متفجعاً على موت صديقه الأخطل الصغير :

لم أنس آخر عهد لى بطلعتـه ∴ وللردى رفرفات [2] فى معاصره

والداء محتكم والحـول مـنحطم ∴ وأول النزع يحبو صـوب آخـره

وحول الله يلقى فـى عقيلتـه ∴ من لطفه السمح عذراً عن مقـادره

تفيض عطفاً وإيثـاراً وخافقهـا ∴ يدوب كالكرم فى راووق [3] عاصره

---

(١) حائراً .

(٢) رفرف الطائر : حام وأراد أن يقع .

(٣) الراووق : المصفاة والكأس .

فى منزل لو ضمير الشرق أنصفه ∴ لاعتده الشرق ركنا من شعائره

لم أنسه حين افضينا له فمضى ∴ يعتامنا بكليل الرف فاتره

وقال من أنت ؟ فاستعرفت[1] فالتفت ∴ لحاظه ثم غامت فى محاجرة

ويقول ملتاعاً على كلبه الوفى تنتان من قصيدته كلبى وصديقى :

تنتان موتك شب فى ∴ نفسى الشجون وحز فيا

أخفى الأسى فتبنه ∴ سؤر الدموع بمقلتيا

كنت الوفى إلى أن ∴ أنكب فلا أجد الوفيا

إبنى صدقنى ولا تعجب ∴ لقولى يا بنى

ومن البنين المعرضون ∴ بوجههم طيشا وغيا

إن أخطأوا فزجرتهم ∴ وإن طالبوا فحبست شيا

هم مهملوك إذا اينأ ∴ ست ومكرموك أبا سخيا

* * * * * * *

إنى فقدتك صاحباً ∴ بادلته الحدب النديا

من إن خرجت سعى ∴ فلاحقنى وودعنى حفيا

" تنتان " كم آنست فيك ∴ الوعى مؤتلقا وضيا

فتدور حولى كالذى ∴ يستطلع الشجن الخفيا

---

(١) استعراف الرجل : عرف نفسه إلى غيره .

أنـــت الصـــديق العـــفُ ∴ مـــا خفـــر الـــوداد ولا تغيـــا

ومن قصيدته أشواق يتحدث بنبض قلبه قائلاً :

يا أبخل الناس بالحسنى وإن أسـأت ∴ بهـــا جـــراح وآلاح وأدواء

أمعنت فى الجور شر الجور ماحملت ∴ ثقال أعبائـه الصـحب والأحيـاء

عن خلائقه أطلاح سطوت بها ∴ وقـد نهتـك المسـاميح الأجـلاء

زيدى جفاء وحسى أننـى رجـل ∴ أنت الهواء لـه والشـمس والمـاء

وأن عينى تـرى الأيـام محسـنة ∴ إذا تراءتـك والأيـام أعـداء

وإن قلبى وإن صارحت مثلـه ∴ وأن أذنـى إذا عـابوك صـماء

كان عزيز أباظه عربياً مصرياً يستحضر الوطن العربى كله فى ذاته يعشق البلدان العربية والعروبة وينوه عليها فى كل حـين فما يكاد يرثى بشاره الخورى حتى يدلف إلى الحديث عـن لبنـان يقول :

لبنان ياحجة للعرب . . . دامغـة

بهتان كل دخيل الحقـد واغـره

وكل ساع بما يغريه مـن تهـم

يبثها فى المـدوى مـن عقـائره

أن يبتعث فتنة الأديان سقت لـه

تسامحا فيك يسمو عـن نظـائره

ويقول :

لبنان يا فخر هذا الشرق عشت له
ركب حاضـــره إنســـان نـــاظره
يا صائغ الحسن فى أبهى وسامته
ورافع الوعى فى أسنى منـــائره
من كل غيداء ريا من صـــباحتها
وكل يقظان رحب الوسع ثـــامرة

ويقول فى قصيدته بغداد :

قالوا بلغتم . قلت : أفق الأنجم ∴ ومدار كل مرجـــب ومعظـــم
لم ننأ عن وطن . ولا أهل أما ∴ جرت العروبة بيننا مجرى الدم
قالوا بدت بغداد . قلت : تدافعت ∴ بغـــداد . بـــين تـــنعم وتقـــدم
وجعلت أشرع ناظرى كأنمـــا ∴ أشتف أقصى طلبة المتوسم [١]

فشهدت عرق العتق كيف أمدها ∴ عبر القـــرون بعـــزة وتكـــرم
قل للنواسى العظـــيم الملهـــم ∴ وأبى معاذ والشريف ومسلم [٢]

---

(١) الناظر .

(٢) أبو نواس وبشار والشريف الراضى ومسلم بن الوليد .

والطائبين الخالدين على المدى ∴ من بليل غرد وبحر خضـرم [١]

ويقول عن فلسطين أنها حبة العين لذا يرثيها ويرثى الأنـدلس غرناطة وقرطبة :

ما فلسطين التـى نهفـوا لهـا ∴ غير قلـب نـد عنـا وبعـد

نور عين الـرب تبقـى أممـا ∴ بفرخ العار بنـا إن لـم تعـد

ويتحدث عن حريق القاهرة قائلاً ونفسه ملتاعة :

أبصـرتها واللظـى معانقهـا ∴ كمـا يضـم القطـاة باشـقها

إن أسلست لـج غيـر متئـد ∴ أو صاعبت لم يزل يلاحقهـا

* * * * * * *

لهفى على الغض من مفاتنهـا ∴ والخطـب معتادهـا فعارفهـا

أبصـرتها واللظـى معانقهـا ∴ مغبـرة والـدخان خانقهـا

نيرونهـا واللهيـب يأكلهـا ∴ فى حفلـة جـامع سـرادقها

ضـاقت بألوانهـا موائـدها ∴ وقرقـرت بينهـا أبارقهـا

قد يكرم الله مصر فـى غـدها ∴ لطفا وقـد تنجلـى غواسـقها

ويتحدث الشاعر عن المشاعر الإنسانية عامة فيضـع نهجـاً للسلوك الذى يجب أن يلتزمه الناس ليحل السلام محل الخصام قائلاً

---

(١) البحترى وأبو تمام .

الشـــــكر ديـــــن لربـــــك

والحـــــب طهـــــر لقلبـــــك

إن مـــــال صـــــحبك ، فاصـــــفح

فأنـــــت جمـــــع بصـــــحبك

وإن تجنـــــــوا ، فعاتـــــــب

ولا تغـــــــالط ، بعتبـــــــك

إذا ابتليـــــــت ، فصـــــــابر

فالصـــــبر مـــــوهن كربـــــك

ولا تـــــــذل لخـــــــوف

فالـــــذل قاســـــم صـــــلبك

لا تخشـــى فـــى الحـــق لومـــاً

ولا تخـــــف غيـــــر ذنبـــــك

مداعبات عزيز أباظه : كان عزيز أباظه رقيق الحواشى سهل المأتى ، وكانت له مداعبات شعرية رقيقة مع أصدقائه تتولـد مـن مواقف معينة منها .

فلم يخل شعر عزيز أباظه من بعض المداعبات فيقال – كمـا جاء بديوانه – أن بعث إليه الشاعر محمود أبو الوفا رسالة بتـاريخ ٢٥ / ١١ / ١٩٦٦ يذكره فيها بأنه سبق أن وعده بإهدائه عصـا ،

وقال فى رسالته :

ياسيد الشعر بل ياخير من شعروا ∴ خلقا وخلقا وأنقاهم إذا طهروا

لك الولاء ولكن هل هناك لـــه ∴ رجع وهل عندكم منه لنا أثـــر

ياسيدى أنت قد واعدتنى عـــدة ∴ والوعد عندك مأمول ومنتظـــر

وأعدتنيها بمحض الود مبتدئا ∴ وليس من مبتدأ إلا لـــه خبـــر

أنا الكليم ولكن ليس فى يـــده ∴ عصا فيا هل ترى يسخو بها القدر

قد يكرم الله مصر فـــى غـــدها ∴ لطفا وقـــد تنجلـــى غواســـقها

ويرد شاعرنا عزيز أباظه على الشاعر محمود أبو الوفا بهذه الأبيات تحت عنوان " هدية العصا " :

أما الوفاء فمنضـــور ومزدهـــر ∴ أبا الوفا ووادى مورق عطر

إن لم نكن نتلاقى فالقلوب لهـــا ∴ لقاؤها الحلو فى الروح والسمر

عرفت فيك فتى قد صيغ من خلق ∴ والخلق أعلى ما استعلى به البشر

لم يلفك الدهر شكاء وقد علقت ∴ أحداثه بك حين العمر مبتكـــر

قمعت بالصبر والإيمان شرته ∴ فبتما فـــى ســـلام أنـــت والقـــدر

هاك العصا فاصطحبها بعد أن قطعـــت ∴ عندى الشباب وصنها أنها سير

من هو عزيز أباظه :

أثرت تأخير التعريف بعزيز أباظه . . . لعدة أسباب منها :

إنه غنى عن التعريف فلا يوجد مثقف يهتم بالأدب إلا ويلم معرفة به ، أعماله ، وحياته .

لكى أقدم أعماله أولاً فهى خير متحدث عنه وتعكس النفسية الصافية التى كانت عليها نفسه ، لأننى أريد أن أعطى إشارات عنه ، وتواريخ أثرت فى حياته وأشير إلى الذين رثوه بعد مماته وهم من هم فى مجال الأدب والفن .

يقول عنه الأستاذان المرسى جبر – سمير كرم فريد :

ونقول إذا دخلت بستان الأدب تبهرك أزهاره ، فهذه الزهرة يشدك لونها ، والأخرى يجذبك عبيرها ، والثالثة تأخذ عليك لبك بمنظرها البديع .

وزهرتنا هذه التى نحن بصددها عندما تراها أو تتعامل معها تشدك وتجذبك وتأخذ عليك لبك ، لقد اجتمع لديها مجموعة من الصفات تكفى صفة واحدة منها فى أى زهرة لتقف أمامها مشدوهاً مبهوراً .

فعزيز أباظه مصرى يعتز ببلده ولا يود أن يراها إلا كما رسمها رائدة ، معطاءة تتحدى الخطوب ، وهو أستاذ التاريخ الذى

يتعامل مع أحداثه ويرسم شخوصه بعد أن يحللها ، وهو الذى يحمل هموم غيره على كاهله ، يحمل هموم العرب والمسلمين ويعتز بمجدهم وانفطر قلبه حزنا على ما أصاب الحضارة العربية والمجد العربى ، بل ويحمل هموم الإنسانية جمعاء ، وهو أستاذ علم النفس له نظرته التى تختلف عن نظرة الآخرين ، وهو الحكيم الذى ينطق بالحكمة والمثل وهو المهندس الذى عبد وأضاء طريق المسرح الشعرى كما يقول النقاد بعد أن شقه شوقى . . . وهو الإنسان الذى يحترم قلمه فتخصص فيما أجاد .

عزيز أباظه إنسانا :

ولد عزيز أباظه فى ١٣ / ٨ / ١٩٨٩ فى الربعماية الشرقية مقر العائلة الأباظية ، وله شقيقان عاشا معه ولازماه طوال حياته ، والتحق بالمدرسة الابتدائية ثم المرحلة الثانوية ، التحق بالتوفيقية ، ثم تخرج بالمدرسة السعدية . وقد تخرج بكلية الحقوق ونال درجة الليسانس عام ١٩٢٣ . اشتغل بالمحاماة لمدة أربع سنوات وبالنيابة ثم انتخب عضواً لمجلس النواب وامتهن عدة مهن ، وتجمع فيها جميعاً ثم تزوج ابنة عمه وهى حبه الأول .

ولعزيز أباظه ابنتان وولد نشئوا فى جو ثقافى متميز فقد تزوجوا وشبوا على حب الأدب والشعر وابنته الصغرى عفاف تزوجت من الكاتب الكبير / ثروت أباظه وهى أديبة شاعرة . وقد

ألفت عدة كتب منها : أبى عزيز أباظه ، زوجى ثـروت أباظـه . وينعكس على أسلوبها فصاحة أبيها التى تربت فى كنفـه وشـبت محاطة بكتاباته وشعره .

كان عزيز أباظه مرهف الحس رقيق الحواشى شغل بـأولاده وأعماله الأدبية ، وكلهم أولاده فأنتج قيس ولبنـى عـام ١٩٤٢ ، ومثلت على المسرح عام ٤٣ وقال عنهـا العقـاد : " إن اللغـوى العامل عزيز أباظه لقى الرحب والسعة من مجمع اللغة العربيـة ، رشحته له أعماله الفصاح ولم يرشحه له صاحب الأعمـال . إنـه اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير ، فلم يعرف الراصدون هذا الكوكـب إلا وهو فى برجه الأسنى قد جاوز جانبى الأفق وصعد فى سـمت السماء " .

ويقول تعقيباً على روايته قيس ولبنى :

فهى – أى الرواية – صلاح العربيـة الفصـحى للمسـرح الحديث واستطاعة النظارة من جميع الطبقات أن يفقهـوا معناهـا ويشربوا مزاجها وينتقلوا إلى جوها ويستجيبوا لعبارتها فى مواقف الجد أو الدعابة ، وفى معارض اللهو أو الأسى وعلى سنن الأخلاق والعادات باعدت بين عصرنا ولاسيما فى عهد هذه الرواية .

**** مسرحية العباسية :**

أما مسرحية العباسية فقد مثلت لأول مرة على مسرح الأوبرا

يتعامل مع أحداثه ويرسم شخوصه بعد أن يحللها ، وهو الذى يحمل هموم غيره على كاهله ، يحمل هموم العرب والمسلمين ويعتز بمجدهم وانفطر قلبه حزنا على ما أصاب الحضارة العربية والمجد العربى ، بل ويحمل هموم الإنسانية جمعاء ، وهو أستاذ علم النفس له نظرته التى تختلف عن نظرة الآخرين ، وهو الحكيم الذى ينطق بالحكمة والمثل وهو المهندس الذى عبد وأضاء طريق المسرح الشعرى كما يقول النقاد بعد أن شقه شوقى . . . وهو الإنسان الذى يحترم قلمه فتخصص فيما أجاد .

عزيز أباظه إنسانا :

ولد عزيز أباظه فى ١٣ / ٨ / ١٨٩٩ فى الربعماية الشرقية مقر العائلة الأباظية ، وله شقيقان عاشا معه ولازماه طوال حياته ، والتحق بالمدرسة الابتدائية ثم المرحلة الثانوية ، التحق بالتوفيقية ، ثم تخرج بالمدرسة السعدية . وقد تخرج بكلية الحقوق ونال درجة الليسانس عام ١٩٢٣ . اشتغل بالمحاماة لمدة أربع سنوات وبالنيابة ثم انتخب عضواً لمجلس النواب وامتهن عدة مهن ، وتجمع فيها جميعاً ثم تزوج ابنة عمه وهى حبه الأول .

ولعزيز أباظه ابنتان وولد نشئوا فى جو ثقافى متميز فقد تزوجوا وشبوا على حب الأدب والشعر وابنته الصغرى عفاف تزوجت من الكاتب الكبير / ثروت أباظه وهى أديبة شاعرة . وقد

ألفت عدة كتب منها : أبى عزيز أباظه ، زوجى ثـروت أباظـه . وينعكس على أسلوبها فصاحة أبيها التى تربت فى كنفـه وشـبت محاطة بكتاباته وشعره .

كان عزيز أباظه مرهف الحس رقيق الحواشى شغل بـأولاده وأعماله الأدبية ، وكلهم أولاده فأنتج قيس ولبنـى عـام ١٩٤٢ ، ومثلت على المسرح عام ٤٣ وقال عنهـا العقـاد : " إن اللغـوى العامل عزيز أباظه لقى الرحب والسعة من مجمع اللغة العربيـة ، رشحته له أعماله الفصاح ولم يرشحه له صاحب الأعمـال . إنـه اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير ، فلم يعرف الراصدون هذا الكوكـب إلا وهو فى برجه الأسنى قد جاوز جانبى الأفق وصعد فى سـمت السماء " .

ويقول تعقيباً على روايته قيس ولبنى :

فهى – أى الرواية – صلاح العربيـة الفصـحى للمسـرح الحديث واستطاعة النظارة من جميع الطبقات أن يفقهـوا معناهـا ويشربوا مزاجها وينتقلوا إلى جوها ويستجيبوا لعبارتها فى مواقف الجد أو الدعابة ، وفى معارض اللهو أو الأسى وعلى سنن الأخلاق والعادات باعدت بين عصرنا ولاسيما فى عهد هذه الرواية .

** **مسرحية العباسية :**

أما مسرحية العباسية فقد مثلت لأول مرة على مسرح الأوبرا

بالقاهرة فى الثالث من نوفمبر عام ١٩٤٥، وقد قدم لهـا الأديـب الكبير الدكتور / محمدحسين هيكل بقوله :

الصورة التى يسوقها المؤلف لهذه المأساة المروعة بسيطة كل البساطة فقد أحب جعفر العباسة وأحبته برغم أنه لم يكن كفأ لهـا . فهى قرشية وهو أعجمى .

ويضيف الدكتور / هيكل قائلاً :

ولا أرنى بحاجة إلى الحديث عن مبلغ القصـة مـن السـمو الشعرى ، فقد سمعها الناس ونالت من إعجابهم مايغنى عـن كـل حديث ، وهى بعد أمامهم اليوم يتلونها ويستمعون منها بأجود الشعر وأمتنه وأروعه .

**** مسرحية الناصر :**

أما مسرحية الناصر فقد ظهرت على المسرح فى عام ١٩٤٨ ، وقد قدم لها الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة وعضو مجمع اللغة العربية بقوله :

شاعرنا المسرحى العظيم عزيز أباظه فى روايته الناصر التى أقدمها بهذه الكلمة . فقد رأى أن العرب مازالوا يمضـغون الفخـر بالجهد الذاهب والسلطان المضاع حتى عاد الفخر تمطقاً من غيـر مذاق ، وتجشوا من غير شبع ولم يحـاولوا الانتفـاع بـالحوادث

والاتعاظ بالعبر حتى تجددت مأساة الأندلس فى فلسطين ، أما نظم الرواية فنمط من الشعر البديع المحكم ، أرسله الشاعر فيضاً من قريحته على هدى من سليقته ، فجاء صافى الديباجة ، واضح المنهج لا نجد فيه تكلفاً ولا قلقاً ولا غموضاً ولا حشواً ولا ضرورة ، ولا تنسى أن الكلام هنا عن الشعر التمثيلى وهو محك الشاعر ، يكشف عن معدنه ويشف عن ملكاته .

** مسرحية شجرة الدر :

أهداها الشاعر إلى شوقى بقوله إهداء إلى شوقى الخالد أزجى أثراً من هدية ونفحة من وحيه هدية تقدير وإكبار ووفاء . وقد مثلت على مسرح الأوبرا فى نوفمبر عام ١٩٥٠ .

** مسرحية غروب الأندلس :

مثلت لأول مرة على مسرح الأوبرا فى الخامس عشر من نوفمبر عام ١٩٥٢ وقدم لها الأستاذ الكبير عميد الأدب العربى الدكتور / طه حسين بقوله :

لم أنشط لتمثيليات الأستاذ / عزيز أباظه حين أخذ يعرضها على الناس منذ سنين وكنت أرى هذا كله رجوعاً إلى فن قديم بعد به العهد فأسرف فى البعد ، وأقبل الناس على أشياء طريفه هم بها أشد كلفاً ولها أعظم نشاطاً وقد سألت الناس عن هذه القصة الأخيرة

- غروب الأندلس - حين مثلت وكثر عنها الحديث ، وكان الجواب المقنع الذى صادف هوى من نفسى أى هوى هو الذى سمعته ذات ليلة من أستاذ جليل له مكانته الممتازة فى الثقافة ودقة الذوق ، حين سألته عن هذه القصة بعد أن شاهدها فقال : شعر جزل رصين لم نعد نسمع مثله منذ زمن بعيد ، ثم قرأت القصة مرة واحدة ، وما أشك فى أنى سأقرأها مرات أخرى لأنى أجد فى قراءتها مثل ماوجد هذا الأستاذ الجليل من جزالة الشعر ورصانته ومن عذوبته وحسن ملاءمته لما أحب من الفن الممتاز الرفيع .

** مسرحية شهريار :

قدم لها الشاعر بنفسه وتحدث فيها عن المسرح الشعرى ومكانته فى الآداب العالمية ، وقد مثلت لأول مرة على مسرح دار الأوبرا فى الثالث من نوفمبر عام ١٩٥٥ وقد جاء فى مقدمته للمسرحية :

اعتدت فيما أخرجت من مسرحيات فى السنوات العشر الماضية أن أعهد بها لأصدقائى من الكتاب والشعراء ليقدموها للناس . فتفضلوا ففعلوا مشكورين على أننى آثرت أن أقدم هذه المسرحية بنفسى . ومن يدرى فلقد يكون من بين القراء الكرام من يرضيه أن يشهد المؤلف بنفسه وهو مضطلع بهذا العبء الثقيل .

** مسرحية أوراق الخريف :

كتبها الشاعر عام ١٩٥٧ وقد قدم لها الأستاذ عباس محمود العقاد " قد اختار الأستاذ عزيز أباظه – شاعر العصر فى فن المسرح أن ينظم هذه المسرحية فى شئون الحياة العصرية فلا حرج عليه فى اختيار الموضوع اليوم – ولم يكن عليه من حرج فى اختيار موضوعاته بالأمس ، لأننا نطالبه اليوم كما طالبناه أمس بشرط واحد لا يتغير مع الموضوع ولا مع الزمن وهو شرط التعبير الصادق والتصوير الجميل ، ولا عليه أن يجعل الأحياء يتكلمون بالفصحى وهم من عامة الناس ، فما كان عليه من حرجأن جعل الموتى من أبناء التاريخ يتكلمون وهم لا يتكلمون ، ولا ينطقون ولو ذهبنا مع حرف الواقعية لما جاز لميت أن يتكلم ولا جاز لعامى من أهل الصين أن يترجم كلامه إلى العامية فى الديار المصرية ، ولكن الواقعية لا تذهب هذا المذهب إلا هان أمرها واستغنت عن الرد والمناقشة فربما سخر منها القائلون بها قبل أن يسخر منها من يفهمونها غير هذا الفهم ويتبعون فيها أسلوباً غير هذا الأسلوب " .

** مسرحية قافلة النور :

قدم لها الشاعر بنفسه ، وهى من المسرحيات التى لم تمثل ،وقد كتبها الشاعر عام ١٩٥٨ .

** مسرحية قيصر :

نظمها الشاعر عام ١٩٦٣ وتحدث فى مقدمتها عن حيرته فى كيفية وضع اسمه على المسرحية كما يفعل غيره من الأدباء وكيف يصف عمله وصفاً محدد المعالم ؟ لا تنقص فيه ولا ترخص ، وقدم الغلاف ورسمه الفنان الكبير سيف وانلى .

** مسرحية زهرة :

كتبها الشاعر عام ١٩٦٨ – وقد كتب مقدمتها بنفسه – وجاء فيها :

سميتها زهرة وهو اسم على وزن قدرة – وقدرة هذه كما تعلم بطلة مسرحية شعرية كتبها الشاعر الأغريقى يوربيدس – عن أصل مصرى كما قيل – وقد أضاف الشاعر فى مقدمة مسرحيته :

وزهرة هذه ألا تكن قدرة فهى أختها ، فإن بين طبعيهما أعراقاً ضاربة ووشائج عاصبة وثابة غالبة .

وله دواوين نشرت فى حياته مثل آنات حائرة – من الشرق الغربى تسابيح قلب – فى موكب الحياة – فى موكب الخالدين – وهناك دواوين أخرى أشرف على طباعتها الأديب أنور أحمد بعد وفاة عزيز أباظه وفاءً وحباً .

تواريخ هامة فى حياة عزيز أباظه :

١٣ / ٨ / ١٨٧٨ ولد الشاعر الكبير فى الربعماية بالشرقية .

١٩٢٣ – ١٩٢٤ عمل بالمحاماة مع الأستاذ / وهيب دوسى ثم استقل بنفسه .

١٩٢٥ – ١٩٢٩ انتخب عضوا بمجلس النواب ثم عمل بالقضاء.

١٩٣١ – ١٩٣٣ أعيد انتخابه عضواً بالمجلس لدورة ثانية ثم عين مفتشاً بوزارة الداخلية – ثم وكيلاً لمديرية البحيرة .

١٩٣٦ – ١٩٣٧ أعيد انتخابه عضواً بالمجلس .

١٩٣٨ – ١٩٥٠ عمل مديراً بالقليوبية ثم الفيوم ثم المنيا ثم البحيرة ثم مديراً للقنال ثم مديراً للبحيرة مرة أخرى ثم مديراً لأسيوط .

١٩٥١ – ١٩٥٩ اختير عضواً بالمجمع اللغوى .

١٩٦٥ – حصل على جائزة الدولة التقديرية .

١٠ / ٦ / ١٩٧٣ توفى الشاعر الكبير بعد أن أثرى حياتنا الأدبية والثقافية والفكرية وبعد أن تبدى عشقه لمصر ظاهراً جلياً فهو الذى رفع شعار

مصر فوق الأحزاب والأقطاب كما جاء فـــى مسرحيته شجرة الدر .

فالملاحظ أن عزيز أباظه كان إنساناً يسع المؤثرات المختلفـــة ويتأثر بها فهو ينفعل بالموقف مصرى ، أو عربى ، أو إنســـانى . كما تحدث فى قصيدته حديث الحجر أو وقفه فى ميـــدان الباســـتيل والمقصود بالحجر النصب التذكارى فى مكان سجن الباستيل الـــذى حطمه الثوار فى باريس .

معقل نطق مرفـــوع الـــذرى ∴ دك فـــانقض فأمســـى خبـــرا
جعـــل القـــوم عليـــه آيـــة ∴ نصبا يروى الأمـــور الكبـــرا
حجر يلحظـــه الـــدهر إلـــى ∴ يوم يطـــوى خاشـــعا منبهـــرا
خضخض التاريخ فاهتز كما ∴ هزت النكبـــاء غصـــنا ثمـــرا
فهفا يخفض فـــى حضـــرته ∴ رأســـه مختشـــعا منكســـرا
قال والنشـــوة فـــى غرتـــه ∴ كافح الإنســـان ثـــم انتصـــرا

فشاعريته متسعة لكل شئ لذلك صاغها درراً باقية فى شعره ونثره يتأثر بها كل من كان له وشيجه تصله بطود الأدب .

وقدرثاه شعراء عدة فى مصر وغيرها من البلـــدان العربيـــة رثاءً حاراً منهم صالح جودت ، محمد التهـــامى ، ســـعيد عقـــل ، (بيروت) عبد الكريم الكرمى ، أبو سلمى (فلسطين) ، مبـــارك

المغربى (السودان) .

يقول صالح جودت :

ما عزائى فيك ياخير عـزاء ∴ منذ أن غاب أميـر الشـعراء

لم تزل تسـعى إلـى سـدته ∴ بعد أن عز عليهـا الأوليـاء

فتسـنمت إليهـا دائبـاً ∴ صيب الإلهام موهوب العطـاء

تملأ الـدنيا نشـيداً رائعـاً ∴ يتلقى من فـم الـدنيا الثنـاء

وتصوغ المسـرحيات التـى ∴ لبس المسرح منهـا الخـيلاء

وتقص السيرة الحسناء فـى ∴ خير زلفـى لأميـر الأنبيـاء

فاض منك الشعر ، رومى الشجى ∴ بحترى الروح ، شوقى البنـاء

طاوعتك الشـاعريات التـى ∴ لم تطع فى الشعر إلا الأمـراء

يقول سعيد عقل :

عملاق مصر ، قوافيك الكبار بنا ∴ بنبلهـا مـايزال الأرز يتسـم

ومن أنا لأرد اليوم بعض نـدى ∴ ضم قوافى فى رد الندى بكـم

إن شاعر هام بالنيل انتشت قمـم ∴ فى أرضنا ، أو تصبى مادت القمم

مصر هى المجد ، كان المجد مذ طفـرت ∴ فى البال ، فالكون أذن بعدها وفـم

أو لو النهى الصيد نادتهم هياكلها ∴ وعلمها رفد الصيد الأولى علموا

غاو بها شرف الإنسان ، ماخذلت ∴ عصرا وغاو بها ذو الريشة العرم

أن ضامها الضم مس الخالقين دنى ∴ أو نالها الظلم راح الحق يظلم

يقول عبد الكريم الكرمى :

شيع الشعر عزيـــزا وبكـــى ∴ خلقـــا فيـــه ونـــبلا وســـماحا
لا عروس اتلنبل فى موكبهـــا ∴ لا ولا موكبهـــا زف الملاحـــا
لا الليالى خافقـــات بالســـنى ∴ لا ولا النجم على الموج استراحا
لا الرياحين على الشط زهت ∴ لا ولا الورد بسر العطر باحـــا
وانثنى الفارس عـــن رايتـــه ∴ وارتمت تملأ دنياهـــا نواحـــا
ياعزيز الشعر من بعد النوى ∴ لم نجد للشعر فرسانا وســـاحا
الحروف العربيات انطـــوت ∴ والهجينات تصدرن المراحـــا
هانت الأنفس فالشـــعر غـــدا ∴ مرتعا – مثل بلادى – مستباحا
أرضنا أرضك يامصر وقـــد ∴ بسطت فوق ظلال الخلد راحا
ونسيمات الربـــى ماختلفـــت ∴ والنمير العذب مازال قراحـــا

يقول محمد التهامى :

نام العزيز ولم ينم ســـلطانه ∴ بل راح يستبق الحيـــاة بيانـــه
والشاعر الخلاق يغرس عمره ∴ فيطول فوق ذرا الوجود زمانه
تتواكب الأجيال دائبة الخطـــا ∴ وتظل فوق رؤوســـهم أوزانـــه
يتفيأون من الهجير ظلالهـــا ∴ وتضمهم زمن الربيـــع جنانـــه
وإذا استباح الزمهير حيـــاتهم ∴ فملاذ دفئهم الرحيـــب حنانـــه

رحم الله عزيز أباظه فقد كان ذا حسن مرهف وشعور قوى ، استوعب الناس بمشاكلهم وآلامهم واستوعب الآداب بفنونها وتنوعها . . وإذا كان أحدهم قد قال مؤبناً العقاد : [١]

" فسلام على عملاق الأدب العربى الكبير يوم أعجب بالبطولات الإنسانية فى كل ماكتب وأرخ ، تلك البطولات التى ليس أشرف منها بطولة تعرفها النفس الإنسانية وهى بطولة الحق ، وبطولة الخير ، وبطولة الاستقامة ، وهى بعد هذا أو فوق هذا بطولة الفداء يقبل عليها من أقبل وهو عالم بما سيلقاه من عنت الأقوياء والجهلاء وما سيلقاه من الجحود والإيباء " .

فإن عزيز أباظه لا يقل مرتبة عن العقاد وإن كان الزمن أنصف العقاد حياً وميتاً – فقد طبقت شهرته الآفاق – .

أما عزيز أباظه فلم ينل من الشهرة القدر الذى كان حقيقياً به ، ولم يحز شعره من الدراسة القدر الذى يناط به ، وربما يرجع ذلك لتنوع الفنون الحديثة وتعددها فانصرف لها ذهن القراء والباحثين الجدد ولكن هذا لا يغمط عزيز أباظه حقه ولا يقلل من أهمية شعره وكلماته التى تستحق كل الإعجاب والثناء .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) من آخر كلمات العقاد عامر العقاد – سلسلة كتابى – ص ٣٧ – ط ٣ .